الشـــــــاعر

إسماعيل سرى الدهشان

وجماعة أبوللو

الدكتور

محمود على السمان

الأستاذ المساعد بكلية التربية – جامعة طنطا



بسم الله الرحمن الرحيم

المحتـــــويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كان إسماعيل سرى الدهشان شاعراً عاش نهضة الشعر الحديثة من بدايتها ، وعاشر شعراء البعث والديوان وأبوللو . وكان ارتباطه بمدرسة البعث من الناحيتين الموضوعية والشخصية ، فشعره فى أغلبه ينتمى إلى هذه المدرسة البيانية، ولا شك أن علاقة ما قد انعقدت بينه وبين شوقى رأس هذه المدرسة ، لأن شوقى كان رئيساً لجمعية أبوللو عند إنشائها ، وحيى مجلة أبوللو بقصيدته التى مطلعها :

أبوللو رحبا بك يا أبوللو فإنك من عكاظ الشعر ظل

وقد اختير الدهشان عضو مجلس إدارة الجمعية ، وعضو اللجنة التنفيذية بها، كما نشر قصائد عديدة بمجلة أبوللو . وقد ثبت أن الدهشان اتصل بحافظ إبراهيم ثانى اثنين فى مدرسة البعث وتبادلا الإطراء بالشعر ، وقد ذكر الدهشان فى تاريخ حياته صلته بحفنى بك ناصف شاعر البعث المشهور .

أما علاقته بزعماء مدرسة الديوان فلا ندرى عنها شيئاً ، وإن كان من المؤكد أنه قد قرأ شعر هذه المدرسة وتأثر به .

وأما علاقته بأبوللو فقد ارتفعت إلى مستوى الصداقة الحميمة بالمدرسة وبرائدها أبى شادى وبشعرائها، وهى التى توجت كفاحه بتاج الفخار ، فأصبح اسمه بها لامعاً فى سماء الشعر بما نشره فى مجلة أبوللو من قصائد ، وباشتراكه فى مجلس إدارة جمعية أبوللو ولجنتها التنفيذية .

ولكن الدهشان رغم تاريخه الاجتماعى والأدبى الحافل لم ينل حظه من الدعاية ، ولم يكشف عن فضله كاتب أو ناقد .

وهذا ما قصدنا إليه بهذا الكتاب ولعلنا بما نكتب اليوم عن الدهشان نكون قد أدينا للشاعر حقه من ضرورة الاعتراف به ، والإعلان عنه ، ووضعه حيث ينبغى أن يوضع بين شعراء عصره هذا وبالله التوفيق .

د . محمود السمان

الفصل الأول

حياة الدهشان[1]

عائلة الدهشان :

تنتشر عائلة الدهشان على خريطة مصر ، فمن بين أبنائها من يعيشون فى القاهرة ، والمنوفية ، والقليوبية ، والشرقية ، ودمياط ، وبعض محافظات الصعيد الأدنى كالفيوم والمنيا .. وأكثرهم يعيش فى الغربية: فى سمنود محل ميلاد الشاعر ، وفى طنطا ، وفى المحلة الكبرى .

ويعد سيدى مروان الحسينى صاحب الضريح المشهور بقرية «ميت أبو الحسين» التابعة لمركز سمنود ــ أحد أولاد « الدهشان » الكبير ، رأس العائلة الدهشانية ، وكان والده « محمد » يعمل باشكاتب تفتيش الأميرة فاطمة هانم إسماعيل بميت أبو الحسين ، وقد تزوج أمه « ريا » من عائلة الكاشف بقطور ــ غربية ، وهى من أصل تركى .

مولده ونشأته :

ولد إسماعيل سرى الدهشان فى ١٢ من سبتمبر عام ١٨٨٤ م ، وبعد خمس سنوات من مولده توفيت أمه ، فتزوج أبوه من زوجة صالحة يذكر « الدهشان» أنها كانت ذات عطف وحنان عليه مما عوضه عن عطف وحنان أمه ، ودخل « الدهشان » الكتّاب ، ليتعلم فيه القراءة والكتابة ، ويحفظ فيه القرآن الكريم ، على عادة أبناء عامة الشعب آنذاك . . ولكنه يذكر قصة طريفة كادت تحوله

(١) اعتمدنا فى حياة الدهشان على مذكراته الخطية الخاصة المحفوظة لدى أحفاده .

عن التعليم إلى العمل الحرفى ، وذلك أن حذاءه سرقت منه حين تركها أسفل شجرة جميز اعتلاها ليجمع منها بعض ثمراتها فلما علم أبوه بسرقة الحذاء ــ عاقبه بالضرب، وأخرجه من الكتّاب، وألحقه بورشة ميكانيكية بأحد محالج القطن .. واستمر على ذلك ثلاث سنوات ولكن ساقه كسرت فى هذا العمل ، فأعاده أبوه إلى الكتّاب ليستأنف تعلمه. يقول الدهشان: « وكانت هذه السقطة سبب التحول فى حياتى ، فأكببت على الدرس لأعوض سنى الميكانيكا » .

حبه للغة العربية والشعر :

وأحب الدهشان اللغة العربية وعلومها ، وآثر قراءة الشعر على غيره من فنون الأدب ، لأنه ــ كما يقول ــ من أسرة شاعرة . .

وكان أول ما قرأ الدهشان من الشعر شعراً صوفيا نظمه عم أبيه السيد أحمد الحسينى الذى كان من علماء الأزهر الشريف .

حصوله على الابتدائية الفرنسية ، واشتغاله بالتدريس :

تقدم الدهشان لامتحان الشهادة الابتدائية الفرنسية عام ١٩٠٤ ، فرسب ، وكانت الشهادة الابتدائية آنذاك ذات أهمية كبيرة ، والحصول عليها ليس هينا ، وكان بعض مدرسى المدارس الأهلية الابتدائية غير حاصلين عليها ، وكانت هذه المدارس هى السائدة حينئذ، ولذلك عمل الدهشان مدرساً للحساب بمدرسة الفيض العباسى[١] بسمنود ، ثم استقال منها ، وافتتح مدرسة خاصة بالاشتراك مع بعض أصدقائه بميت سمنود ، وأسماها مدرسة « الكوكب الشرقى للبنين والبنات » ، ثم تركها ليعمل مدرساً بمدرسة الأقباط بسمنود .

---

(١) كانت إحدى مدرستين بمدينة سمنود آنذاك ، والمدرسة الثانية هى مدرسة الأقباط .

وتقدم الدهشان لامتحان الشهادة الابتدائية مرة ثانية عام ١٩٠٥ ، وهو مدرس بالأقباط ، ونجح، وحصل على هذه الشهادة ولم يزد عليها، وانتقل مدرسا إلى مدرسة الفيض العباسى بمرتب أكبر (أربعة جنيهات شهريا) .

عمله بالبريد :

وتزوج الدهشان، وطمعا فى تحسين حالته المالية، وزيادة مرتبه ـ تقدم للعمل فى مصلحة البريد ، وعين معاونا بمكتب بريد الزقازيق عام ١٩٠٦ ، ثم رقى بعد شهور وكيلا لمكتب بريد « ههيا » ، ثم لمكتب بريد « أبو كبير » .

اشتغاله بالسياسة وعلاقاته الاجتماعية ونقله إلى طنطا :

وكان الدهشان بطبعه اجتماعيا ، ولذلك كان كثير الأصدقاء ، وكان محبوباً من أصدقائه ورؤسائه على السواء ، وكانت السياسة فى عهده هى شغل الشباب الطموح الشاغل ، وكان الدهشان فى مذهبه السياسى وطنيا ينتمى إلى كل عمل سياسى أو مذهب سياسى وطنى ، ويؤيد الزعماء المخلصين لبلدهم ووطنهم ويشيد بهم فى شعره ، وفى « أبو كبير » أقيم حفل للحزب الوطنى حضره « محمد بك فريد » فحياه الدهشان بقصيدة أعجبته ، وكانت القصيدة ـ كما يذكر ـ سبباً فى نقله معاونا للبريد بطنطا عام ١٩٠٩ .

وفى طنطا استطاع الدهشان أن يعقد صداقة حميمة مع علماء الأزهر وطلابه النجباء ومنهم الشيخ الدفتار الكبير ، وأخواه : محمود وعبد الحفيظ ، ومنهم الشيخ عبد الجليل عيسى، كما تعرف إلى الشاعر المعروف حفنى بك ناصف ، وكيل المحكمة الأهلية .

ويذكر الدهشان أن صديقه إسكندر عيد الذى كان وكيلا لبريد طنطا

وأحيل إلى المعاش كان يقيم فى بيته ندوة أدبية ، وكان الدهشان ينشد فيها بعض شعره . .

ويقول الدهشان : « فى هذه الندوة كان يقدم الطعام والشراب والفاكهة ، وتعزف على البيان الألحان من الغيد الحسان . . وكنت أجالس فى دار الندوة محب باشا مدير الغربية ، وشكرى بك رئيس المحكمة الأهلية ، وحفنى بك ناصف وكيلها ، والسيد حسين القصبى والسيد عبد العزيز خليفة ، وطلعت بك ناظر محطة طنطا ، ورسمى بك وكيل المديرية » .

انتقاله إلى « أبو المطامير » :

ولم تطب الإقامة للدهشان فى طنطا ، لأنه ـ وكان يعمل بالبريد بستة جنيهات شهريا ـ لاح له أن يعمل كاتبا أول للمعهد الدينى بمرتب اثنى عشر جنيها ، عدا « الجراية » ، ونصيب عالم فى صندوق النذور ، ولكن المحسوبية لم تمكنه من هذه الوظيفة ، وعين ابن نجاتى بك باشمهندس الخاصة الخديوية مكانه فيها . يقول : « فحزنت ، وطلبت نقلى من طنطا ، من صليب بك أقلاديوس ، باشمهندس المصلحة ، وهو مار بنا ، فنقلت وكيلا لمكتب بريد « أبو المطامير » سنة ١٩١١ » .

وقضى الدهشان فى « أبو المطامير » فترة تمتع بصحبة وصداقة « محمد أفندى توفيق مفتش الدلتا ، وحافظ أفندى محمود مهندس المنطقة ورمضان أفندى الطناحى رئيس نقطة بوليس كوم الحنش .

ولما نقل صديقه الطناحى إلى الإسكندرية ، وكان يحبه كثيراً ـ طلب نقله إلى الإسكندرية ، وهناك ساكنه فى مسكن واحد براغب باشا .

انتقاله إلى الإسكندرية وأول علاقة بالأمير عمر باشا طوسون :

كان عصر الدهشان الأدبى الذهبى هو مدة إقامته بالإسكندرية . هذه المدينة الزاهرة ، فقد حركت الإسكندرية شاعريته الكامنة ، وقد واتته فيها ظروف الظهور على غير قصد ولا جهد منه ، وذلك أنه ما كاد يستقر بالإسكندرية حتى قابل عفواً حفنى بك ناصف الذى سأله عن حال الشعر معه ، ولما أجابه بأن عمله فى حسابات عموم البريد يشغله عنه نصحه ألا يهمل الشعر لحسن استعداده فيه .

ثم فى صباح الغد فوجىء برسول يأتيه من قبل عبد الحميد بك جميعى الذى يطلب مقابلته ظهراً ، ولما ذهب إليه فى الموعد المضروب ـ قال له : أنت مدعو الليلة ببسان استفانو للعشاء مع صاحب السمو الأمير عمر باشا طوسون ، مع الطيارين العثمانيين احتفالا بهم ، واللجنة ترجوك فى إعداد قصيدة لتحيتهم ، يقول الدهشان : فاعتذرت له لضيق الوقت ولأنى لن أقول فى عمر باشا أحسن من شوقى حين مدحه وهو يهدى رسائل الشوق إليه ، فقال :

إلى الذى خفقت فى الأرض رايته ... واليوم تخفق فوق الشمس والقمر

فأمسك بالتليفون واتصل بالأمير طوسون ، وبلغه اعتذار الدهشان ، فقال له الأمير : قل له يا دهشان لا تهرب . فقد نم عليك أستاذك حفنى بك ناصف ، فوافق الدهشان ، وخرج لا إلى منزله ، وإنما إلى « قهوة فرنسا » يستوحى الشعر فيها وهو فى معزل .

يقول الدهشان : « واقتربت الساعة ، ولم أقنع بما جاد به الخاطر ، وما كدت أطوى الورق متردداً بين الذهاب إلى الحفل أو التخلف عنه ، حتى سمعت من ينادى : يا أستاذ دهشان . . وإذا بمحمد بك غالب الغرياني يقدم لى نفسه ويسألنى عن القصيدة ، ثم أردف : هل تذهب إلى منزلك ، مع العلم بأن موعد

الحفل قد حان ، فقلت : ولم المنزل ؟ قال : لتلبس « الردنجوت » ، فضحكت ، وقلت: أعفنى إذن من الكلمة (القصيدة) ، فليس عندى « ردنجوت » ، فقال : لا عليك ، هيا بنا . وذهبنا إلى منزله ، وهناك ألبسنى «الردنجوت» وهو يداعبنى مداعبة الصديق، ثم ذهبنا إلى سان استفانو ، وأسرعنا إلى مقابلة الأمير، وشرفنى الأمير بتعريفى بالعظماء المدعوين ، وجلست إلى مائدة الطعام الفخمة ، واعتزمت من حيرتى فى طريقة تناول الطعام والشراب أن أقلد جارى .

يقول الدهشان : وضيع على التزامى بالتقليد تذوق الأكل الشهى ، إلى أن فرغنا ، وطلبت الكلمة منى ، فقمت ونظرت فرأيت علماً عثمانياً يتوسط الحفل ، فقلت للأمير : أيأذن لى الأمير أن أختار موضعى وأنا ألقى كلمتى؟ قال : افعل ماتشاء فتقدمت خطوات، ووقفت تحت العلم بحيث يمسه طربوشى .. وصفق الجميع استحساناً لاختيارى هذا المكان » .

وألقى الدهشان قصيدته[1] ، ومطلعها :

أهلا بأفضل من طاروا ومن جثموا ومن إذا قيل من للمجـــد قيل همو

يقول : « ولا أزكى نفسى بشرح ما لاقيته من الثناء والتشجيع ، ويستطرد قائلا : وانصرفت من الحفل يحيط بى لفيف من الأعيان والأدباء، وكان أقربهم مودة : محمود أفندى حسين ، والد الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، وكان يعمل باشكاتب دائرة عبد العال بك بسمنود ، ويعرف أبى ، بل كان صديقاً له » .

وفى صبيحة الحفل زار الدهشان فى عمله محمد بك شلبى معاون دائرة الأمير عمر طوسون وقدم له ثمن ساعة ذهبية، أمر الأمير بإهدائها إليه ، يقول الدهشان:

(١) نشرت هذه القصيدة فى صدر صحيفة « الأهالى » عام ١٩١٤ .

فترددت فى قبول المبلغ ، وأخيراً قبلته شاكراً ، بعد أن قالوا إن عطاء الأمير لا يرد .

واستمر الدهشان بعد ذلك موصولا بالأمير عمر طوسون ، يدعى منه شخصياً لحضور حفلاته لينشد فيها شعره .

عضويته فى الجمعيات والأندية :

اختير الدهشان لنشاطه الاجتماعى والأدبى عضواً فى جمعية المواساة بالإسكندرية وعضواً فى نادى الموسيقى العربية ، وكان رئيس نادى الموسيقى العربية الدكتور نجيب بك قناوى وكان رئيس طلبة الموسيقى بالنادى محمود أفندى سامى البارودى وقد ترجم الدهشان ليالى الفريد دى موسيه لتمثلها فرقة النادى ، وأرسل نسخة منها هدية إلى الأمير طوسون ، مع صورة من أصلها الفرنسى ، يقول الدهشان : « خشيت أن أقدمها شخصياً إلى الأمير ، حتى لا يظن أنى أستمنحه منحة فى مقابلها ، فأرسلتها مع المرحوم غالب بك الغربانى ، فأمر سموه حضرة على أفندى أبو النصر معارن الدائرة أن يحمل إلى مبلغاً محترماً ، وأن يقدمه لى فى بيتى ، لا فى النادى ، ولا فى المواساة ، ولا فى المقهى . . فما أنبل ذلك الخلق العظيم ، وتغمد الله برحمته ذلك الأمير الكريم » .

شاعر الأمير :

لقب الدهشان بشاعر الأمير وسبب إطلاق هذا اللقب عليه أن الإنجليز كانوا قد عملوا على الحيلولة بين الأمير عمر طوسون وهو فى أوروبا وبين عودته إلى الوطن فبقى فى فرنسا حيناً حتى عمل السلطان حسين على عودته ، فعاد . يقول الدهشان : وذهب أعضاء جمعية المواساة لاستقباله وأنا منهم ، وكلفونى بكلمة ترحيب ،

وحجزونى فى مكان ، فلم يفتح الله على بسوى ١٧ بيتاً ، فكتبوها بخط جميل على رق غزال ، ودخلنا على الأمير ، وألقيت الأبيات بين يديه ، وقدمنا له الرق ، فسر سرور عظيما وأمر بوقف ١٧ فداناً لجمعية المواساة ، وقال : لو زاد شاعرنا الدهشان لزدنا . . فأطلق الأخوان على من وقتها لقب « شاعر الأمير » .

علاقته بسيد درويش وانتقاله إلى الصعيد :

يقول الدهشان : كان سيد درويش فناناً بطبيعته يغنى ماشياً وراكباً ، ويسهر فى الأوساط الأدبية والنــوادى وحفلات الذكر ، ويؤذن فى الجامع ويترنم فى الكنيسة ، ويقول: إنه كان يلتقى به فى نادى الموسيقى العربية ، وأن سيد درويش طلب منه نشيداً سلطانياً فى عهد المغفور له السلطان حسين ، فأعده ولحنه الشيخ سيد ، وألقاه مع فرقة الموسيقى بالنادى .

ثم يقول : وحين أزمعت الانتقال من الإسكندرية عام ١٩١٨ ، لموجة الغلاء التى اجتاحتها ، وصــدر الأمر بنقلى وكيلا لبريد الشيخ فضل بالصعيد ـ شرع الأصدقاء فى إقامة حفلات التوديع التى استمرت أسبوعين يحييها سيد درويش وزملاؤه ينشىء المقطوعة لهذه المناسبة ويلحنها ويغنيها ومنها : « زرونى كل سنه مرة » المشهورة ومنها :

يفزع النــاس بعادك والله يا سيـدى
لكن دا كان مقدر أمره ومش بإيدى

ويستطرد الدهشان فيقول : وفى آخر ليلة طلبت من إخوانى ألا يصاحبونى إلى محطة السكة الحديد ، لأنى لا أتحمل موقف التوديع ، فودعونى جميعاً فى الليل وفيهم مندوب سمو الأمير وداعاً كريماً . . . وفى الصباح ، قصدت قطار السادسة

صباحاً ، وإذا بى أجد سيد درويش فى انتظارى على الرصيف . . ثم يقول : أبعد ذلك وفاء ؟ ! . . رحمهم الله جميعاً » .

يقول الدهشان : وخرجت من الإسكندرية ولى فيها أصدقاء عديدون ، من بينهم الشيخ اللبان والشيخ إبراهيم سليمان والشيخ أمين سرور والشيخ عبد الله دراز وأولاده والشيخ الزمرانى وغيرهم كثيرون .

في الشيخ فضل :

يقول الدهشان : « ركبنا قطار الصعيد إلى بنى مزار ، ونزلنا واستأجرنا حميراً من المحطة إلى النيل ، ومشينا فى صحراء محرقة ، وركبنا سفينة إلى الشاطىء الشرقى حيث الشيخ فضل ، ومكتب البريد » .

« وكنت أظن « الشيخ فضل » جهنم الدنيا فوجدتها جنتها ، وجدتها قطعة من أوروبا فى مساكنها ، وساكنيها ، فالمساكن فيلات ، والساكنون من الفرنج ، ولغتهم الفرنسية الحبيبة إلى نفسى ، وتسلمت عملى ، وحين أصبحت وجدت الجمهور الذى غشى المكتب عند فتحه صباحاً كله من الفتيات والفوانى الحسان يتكلمن الفرنسية ، ولا يعلمن أنى أعرفها ، وسمعت إحداهن تقول للأخرى : ها هو الوكيل الجديد ، عسى ألا يكون سخيفاً . فقلت : أتمنى يا آنسة ألا أكون فدهشت ودهش معها زملاؤها ، وتوثقت صحبتى بالفرنج ، لأنى أعرف الفرنسية ، كما فرح بى المسلمون ، وفى مقدمتهم محمد بك مخلوف مفتش الشركة ، لأنى أول وكيل مسلم صادفوه لمكتبهم . . وهناك قصر بناه الخديوى إسماعيل طابت لنا فيه السهرات البريئة مع مخلوف بك وإخوانه ، وهناك بيوت الفرنج طابت لى معهم ليال ممتعات لا أستطيع وصفها .

انتقاله إلى سمنود وإنشاؤه النادى الأدبى بها :

يقول الدهشان: «فاجأتنى الليالى عقب ثورة ١٩١٩ بموت أبى تاركاً لى إخوة وأخوات صغاراً فنقلت ـ كطلبى ـ معاوناً لمكتب بريد سمنود بلدى» . ويعبر عن تعبه فى سمنود ، فيقول : أشق ما يشقى به الموظف ـ الخدمة فى بلده بعد أن يكون خدعه الأمل فى الاستمتاع بصحبه وأهله ، فإن تكاليفهم مرهقة . ثم يقول معبراً عن رضاه عن هذا التعب : وقد رضت نفسى على الاستعداد لهذا الإرهاق ، فكنت أخدمهم فى غير أوقات العمل وأوقاته » .

وفى مناسبة إنشاء النادى الأدبى يقول : وأجبت داعى الأديب محمد أفندى الطنايحى ، فأنشأت نادياً أدبيًّا سنة ١٩٢١ ، برئاسة شرف مصطفى بك النحاس .

ويذكر الغرض من إنشاء النادى ونشاطه ، فيقول : « وكان لهذا النادى شأن سياسى وأدبى كبير ، وكان له الأثر فى العمل لنجاح مصطفى بك النحاس فى الانتخاب الأول للنواب » .

ويستطرد مازحاً فيقول : ويوم نجح النحاس وكنا فى بيته ليلا ـ قام خطيباً وقال : إنى أشكر لكم معاشر السمنوديين جهدكم فى نجاحى وثقتكم بى إذ انتخبتمونى نائباً عن دائرتكم ، وإنى أتهم الدهشان وعمر دياب ، لماذا ؟ لأنهما حرضاكم على انتخابى ، هذا بشعره ، وهذا بنثره ، فضحكنا وشكرنا له هذا الإطراء .

ويقول : « وما انتفعت ماديًّا بوفديتى إلا بفائدة واحدة سرتنى كثيراً على تواضعها ، هى ترقيتى للدرجة السادسة بعد أن اشتعل الرأس شيباً ، فإن المصلحة طلبتها لى فى ١٩٣٦ ، أى بعد خدمة الحكومة ثلاثين عاماً فشطبها صاحب المعالى محمود فهمى النقراشى باشا من الكشف ، وهو الذى عرفنى خطيباً شاعراً بالإسكندرية

وهو محمود أفندى ، وقد شكوت ذلك الحدث لحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، فعمل لترقيتى » .

وفى مناسبة تبرعه ببيته فى سبيل الله يقول الدهشان: وكان منزلى على ضفاف النيل بجوار مسجد سيدى إبراهيم الخواص بسمنود ، وحين بدأ تنفيـذ بناء المسجد تبرعت ببيتى لبيت الله بنفس راضية مطمئنة .

محن لحقت به فى سمنود :

فى سمنود توفى بكر أولاده حسين بعد أن حصل على شهادة الكفاءة من مدرسة كشك بزفتى ١٩٢٣ ، فسببت الوفاة له همًا مبرحًا ، وقدر له أن يضاعف القضاء مصيبته ، فمرض ولده الثانى ، وأدخله مستشفى الدكتور نيقولا بالإبراهيمية برمل الاسكندرية وأرهقته مصاريف علاجه ، وقابله بعض الأصدقاء وعلموا بمأساته هذه الثانية بمرض ابنه الثانى فواسوه . ولما ذهب إلى سمنود ليحضر أجر المستشفى ، وعاد ـ قيل له إن سمو الأمير أرسل رسولا ودفع المستشفى أجرها .

وفى سمنود ترك له والده أخوات صغيرات توفيت والدتهن بعد أبيه ، فضمهن لأولاده وبقين معه حتى زوجهن .

انتقاله إلى القاهرة وعضويته فى الأندية الأدبية وفى أبوللو :

رقى الدهشان وكيلا لسمنود ، إلا أن كثرة مصائبه بها زهدته فيها ، فطلب كثيراً من النحاس باشا نقله منها ، فكان يرده عن هذا الطلب ، يقول الدهشان: « إلى أن فاض كيل الويل على ، فعملت لنقلى إلى القاهرة عن طريق المرحوم محمد سعيد باشا فنقلت إليها لأعنى بتعليم الابن الذى فاته الموت ولم يمرض ، وهو مصطفى . ونزلت القاهرة ، وكنت ألحقت ابنى المريض زكريا بوظيفة متواضعة

ببريد القاهرة ، ولكن مصطفى ذلك الذى كنت آمل منه اجتهاداً خيب أملى فيه لتدليل أمه له فلم يعن بالدرس ، وظل يرسب فى امتحان الكفاءة أربع سنوات حتى ألغتها وزارة المعارف ، وألحقته بوظيفة متواضعة .

وفى القاهرة اتسع نشاط الدهشان الأدبى فانضم عضواً إلى رابطة الأدب الجديد التى كان يرأسها الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ثم حدث بين الأعضاء خلاف فانفرط عقدها وتركها الدكتور أحمد أبو شادى، يقول الدهشان: وظللت مدة حريصاً على بقائها ، ومعى الأستاذ كامل كيلانى نتناوب الحضور فيها الليالى ثم نقلناها إلى مقر الحفل الماسونى .

وعاد إليهم الدكتور أبو شادى، وشاركهم الحفل فى بعض أعياده، ثم نقلت إلى عمارة تيرنج ، وانضم إليهم الأستاذ عبد الله عفيفى ، وكان الدهشان عضوًا بنادى الثقافة ، كما كان عضوًا بمجلس إدارة أبوللو ، وكم نشر الدهشان من قصائده الشعرية فى المجلات والجرائد الأدبية التى كانت تصدر فى عهده فكم نشر قصائد فى أبوللو والبلاغ والجهاد ومجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية .

وقد كان الدهشان برغم ما اشتهر به من الاتصال بالأوساط السياسية والأدبية عفيف النفس أبيا ، فما شابت علاقته بالأمير عمر طوسون شائبة من استجداء ، ويذكر فى علاقته بالنحاس أنه لم يستغلها فى عهود وزارته ، وأنه ما كان يزوره إلا فى وفد من سمنود لمناسبات وطنية وهو خارج الحكم تحاميا عن الرمى بالتزلف الذى يزرى بكرامته .

ويذكر فى علاقاته بأصحاب الجرائد والمجلات أنه لم يزر إدارة من إدارات الجرائد ، تفادياً من الظن أنه يتملق أصحابها حبًا فى الدعاية لنفسه ولنشر كلماته .

ويقول معقباً على أسلوبه هذا فى حياته : « ولو كانت هذه الأسباب التى تهيأت لى قد تهيأت لغيرى لاتخذ منها سلماً للشهرة ، وسبباً للمادة ، ولعل البعض يرى فى ذلك عيباً فى ، فلير ما شاء فذلك طبعى » .

إحالته إلى التقاعد وعودته إلى سمنود :

نقل الدهشان وكيلا لمكتب بريد الجيزة ، وقام بتعديلات وإصلاحات عرفتها مصلحة البريد فرقى للدرجة السادسة ، وكان لهذه الدرجة شأنها آنذاك ، ثم نقل مفتشاً مساعداً لقسم بريد الزقازيق ١٩٣٨ ، ثم طلب الإحالة إلى التقاعد ١٩٣٩ قبل بلوغه السن القانونية بخمس سنوات وعاد إلى بلده سمنود ، وظل بها إلى أن وافاه الأجل المحتوم فى ٦ فبراير ١٩٥٠ ، بعد مرض بالفالج (الشلل النصفى) دام حوالى ثلاث سنوات قبل وفاته .

لقد عاش الدهشان وفياً لأهله وولده وبلده وصحبه ، فضلا عن وفائه لكل من أسدى له أو لمصر يداً . . فحق علينا أن نكون أوفياء لذكراه ، فنشرح للأجيال الحاضرة والمستقبلة قصص كفاحه وقصائد شعره ليبقى ذكره خالداً أبداً .

* * *

الفصل الثانى

مدرستا البعث والديوان

لما كان « الدهشان » قد عاش المدارس الأدبية التى ظهرت فى عصره ، وهى : البعث ، والديوان ، وأبوللو ، وقد عاشر الكثيرين من أصحابها أو قرأ شعرهم وتأثر به . . ثم هو ينتمى – ولا شك – إلى إحدى هذه المدارس ، وهو بالفعل قد أصبح شريكا فى إدارة «أبو للو» – فإن الأمر يحتاج منا إلى استعراض لهذه المدارس وخصائصها بشكل إجمالى سريع ، حتى يكون تحديدنا لمكان « الدهشان » منها أو من بعضها تحديدًا واضحاً .

وإذا كان الجديد يولد من القديم كما يقول علماء الاجتماع والسياسة ، وكما يقول المنطق البشرى فإن مدرسة أبوللو قد ولدت فعلا مما سبقها من المدارس الشعرية أى من مدرستى البعث والديوان . . مدرسة أبوللو هى امتداد طبيعى لمدرستى البعث والديوان اللتين سبقتاها فى ميدان الشعر العربى أو المصرى الحديث .

ولكى تتحدد لنا صورة مدرسة أبوللو ودورها فى شعرنا الحديث – فلعل من الأفضل أن نمر مجالى بمدرستى البعث والديوان اللتين جاءت أبوللو امتدادًا لهما .

مدرسة البعث :

هى تلك المدرسة التى رادها محمود سامى البارودى (١٨٣٨ – ١٩٠٤ م) وسار على طريقته إسماعيل صبرى (١٨٥٤ – ١٩٢٣ م) ، وعائشة التيمورية

(١٨٤٠ ـ ١٩٠٢ م) ، وأحمد شوقى (١٨٦٩ ـ ١٩٣٢ م) ، وحافظ إبراهيم (١٨٧٢ـ١٩٣٢ م)، ومحمد عبد المطلب (١٨٧١ـ١٩٣١ م) ، وولى الدين يكن (١٨٧٣ ـ ١٩٢١ م) ، وحفنى ناصف (١٨٥٦ ـ ١٩١٩) ، وأحمد محـرم (١٨٧٧ ـ ١٩٤٥ م) ، ومصطفى صادق الرافعى (١٨٨٠ ـ ١٩٣٧) ، وغيرهم كعزيز أباظة وأحمد نسيم وأحمد الكاشف ومحمد الأسمر وعلى الجارم وعلى الجندى ومحمود غنيم . . . الخ .

خصائصها :

وشعراء هذه المدرسة من الشعراء المحافظين الذين اتجهوا بأسلوب شعرهم إلى الأسلوب البيانى المشرق البعيد عن التهافت والتجمل بالمحسنات البديعية ، وليس المراد بالمحافظة المحاكاة للقديم بالمعنى الذى تلغى معه الشخصية، بل المراد بها اتخاذ النمط العربى الرفيع مثلا أعلى فى الأسلوب الشعرى ، وهو ما تمثله النماذج الرائعة من شعر شعراء العصور الذهبية فى المشرق والأندلس كأبى تمام والمتنبى والبحترى من المشارقة ، وابن زيدون وابن خفاجة من الأندلسيين .

ويبرز الجانب البيانى فى هذا الأسلوب بشكل واضح عنصرًا من أهم عناصر الجمال فيه ، أكثر بكثير مما تبرز العناصر الأخرى المطلوبة فى الأسلوب الشعرى ، كالجانب الذهنى ، وهو الجانب الذى غلب على شعر مدرسة الديوان التى مثلها شكرى والعقاد والمازنى، وكالجانب العاطفى، وهو الجانب الذى غلب على شعر مدرسة أبوللو التى مثلها أبو شادى وعلى محمود طه وإبراهيم ناجى والهمشرى وغيرهم .

المحافظة على عمود الشعر :

(ا) وقد تمسك شعراء مدرسة البعث بعمـــود الشعر العربى ، وهو مجموعة التقاليد الفنية التى جرى شعر الشعراء القدماء الكبار عليها، وقد وصف «المرزوقى» الشعراء الملتزمين بعمود الشعر كما وصف عمود الشعر ، إذ يقول :

إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة فى الوصف . ومن اجتماع هذه الأساليب الثلاثة ، كثرة سوائر الأمثال وشوارد الأبيات ، والمقاربة فى التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتآمها ، على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما القافية ، حتى لا منافرة بينهما ، فهذه سبعة أبواب هى عمود الشعر ، ولكل باب معيار » .

ولذلك نرى الكثيرين من شعراء مدرسة البعث يستهلون قصائدهم بالغزل التقليدى كما يفعل القدماء ، ثم يخلصون إلى الغرض المقصود مدحا أو غيره . كما فعل شوقى فى قصيدة سياسية حول مشروع « ملنر » فيقول فى مطلعها متغزلا :

اثن عنان القلب واسلم به   من ربرب الرمل ومن سربه

وكما فعل حافظ فى قصيدة يمدح بها البارودى ، فيقول فى أولها متغزلا :

تعمدت قتلى فى الهوى وتعمدا   فما أثمت عينى ولا لحظه اعتدى

ونرى الكثيرين منهم يصفون الأطلال كما يفعل السابقون ، فيقول شوقى :

أنادى الرسم لو ملك الجوابا   وأفـــديه بدمعى لو أثابا

ويقول حافظ :

بكرا صاحبى قبل الإياب   وقفا بى بعين شمس قفا بى

ويقول أحمد محرم :

أهذى ديار القـــوم غيرها الدهر فعوجوا عليها نبكها أيها السفر

ونرى هؤلاء المحافظين يتحدثون وكأنهم يعيشون فى الصحراء فى العصور الخوالى ، فيذكرون أماكن قديمة ونباتات وحيوانات صحراوية ، يذكرون العقيق ونجد ووادى الغضا ، ويذكرون الخزامى والبهار ، ويذكرون الرئم والمها . . الخ .

أسباب ظهورها :

من أهم أسباب ظهور مدرسة البعث الأدبى ـ ذلك البعث القومى الذى حدث فى نهاية القرن التاسع عشر ونتج عن نهضة البلاد وطنيا وقيام الطبقة المثقفة فيها محاولة التخلص من مساوىء النظام القائم وإنقاذ الأمة من تدخل الدول الأوربية، وإقرار النظام الدستورى للبلاد، وتأليف الحزب الوطنى الذى اختمرت فيه فكرة الثورة العرابية، وقامت حركات تحررية، كجماعة مصر الفتاة، وتلاميذ جمال الدين الأفغانى ، وشبت الثورة العرابية بقيادة أحمد عرابى ، والتحمت الثورة الأدبية بالثورة الوطنية، ومثلها وأسهم فيها محمود سامى البارودى أحد أقطاب الثورة العرابية. وقد عاون على الثورة الأدبية لتؤدى دورها فى التحرر الفكرى والسياسى والتخلص من كل قيود التحرر الأدبى عوامل من أهمها : نشأة الطباعة فى مصر ، وظهور الصحافة التى استهدفت بفضل روادها كرفاعة الطهطاوى وعبد الله باشا فكرى أن تقدم المعلومات بأساليب سهلة وألفاظ فصيحة ومعان واضحة ، وإنشاء الجمعيات الأدبية كجمعية المعارف التى أنشأ إبراهيم المويلحى باسمها مطبعة قامت على طبع مجموعة من أمهات كتب اللغة العربية والأدب ودواوين الشعر ، ومدرسة النديم التى كان النديم يعلم فيها الأدب والشعر . . الخ .

وبالرغم من إخفاق الثورة العرابية وسيطرة الاحتلال الإنجليزى على البلاد فإن الثورة الأدبية لم تخمد ، بل ازدادت نضجا ، واستمرت تؤدى رسالتها وتؤتى أكلها ، وكانت امتدادات البارودى فى شوقى وحافظ وأضرابهما دفعا كبيرا للحركة الأدبية وللشعر أن ينمو ويزدهر .

كان إذن ظهور مدرسة البعث متفقا مع روح العصر الذى نشأت فيه ، تلك الروح الوطنية الواعية التى تبحث عن أمجاد الماضى لتترسم فى كفاحها خطاه ، ولتعتمد عليه وتحتج فى إعلان أصالتها وقوتها فى مواجهة تحدى الحضارة الغربية ، كذلك فإن النضال الوطنى الذى شهدته تلك الفترة جعل الارتباط بالتراث العربى القديم قويا ، وخاصة عند المؤمنين بفكرة الجامعة الإسلامية من أمثال الشيخ محمد عبده ، والشيخ على يوسف ، ومصطفى لطفى المنفلوطى وغيرهم ، فقد ربطتهم هذه الفكرة بصورة أشد بالتراث الإسلامى العربى ، فكان الأسلوب الإسلامى العربى البيانى المشرق هو المثل الأعلى لأساليب هذه المدرسة .

موضوعات شعرها :

اتخذت هذه المدرسة أسلوبها المحافظ البيانى وسيلة تعبر به عن حياة الشاعر الخاصة وأحاسيسه الذاتية، وعن قضايا البلاد ،ووسيلة للتعبير عن بعض أحداث العصر خارج نطاق الذات والوطن .

فقد عالج شعراء هذه المدرسة بشعرهم كل قضايا مصر ومشكلاتها ، وأحداث العالم الإسلامى؛ وكثيرا من شئون العالم الخارجى .. عالجوا بشعرهم مسائل السياسة المصرية والعربية والإسلامية والمسائل الاجتماعية والثقافية والأخلاقية والفكرية، مع الاهتمام بالماضى وأمجاده ، ماضى مصر والفراعنة ، وماضى العرب والمسلمين ،

مستجيبين فى ذلك كله لداعى النضال فى سبيل مصر والعروبة والإسلام، من أجل الخلافة ، وفى سبيل الحرية ، وضد الاستعمار والاحتلال والملكية .

وقد وفقت مدرسة البعث فى التعبير عن كل ذلك بشكل رائع، وهذا "البارودى" رائد المدرسة يعبر بصدق عن تجربة الحنين إلى الأهل والوطن حين كان بعيداً عن "مصر" ، فى "حرب البلقان" ، فيقول :

هو البين حتى لاسلام ولا رد ... ولا نظرة يقضى بها حقه الوجد

ولكن إخواننا بمصر ورفقة ... نسوا عهدنا حتى كأن لم يكن عهد

أحن لهم شوقاً على أن دوننا ... مهامه تعيا دون أقربها الربد

أفى الحق أنا ذاكرون لعهدكم ... وأنتم علينا ليس يعطفكم ود

ويقول شوقى من قصيدة « لبنان » :

دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل ... فأتيت دون طريقه فزحمته

فازور غضباناً وأعرض نافراً ... حال من الغيد الملاح عرفته

فصرفت تلعابى إلى أترابه ... وزعمتهن لبانتى فأغرته

فمشى إلى وليس أول جؤذر ... وقعت عليه حبائلى فقنصته

قد جاء من سحر الجفون فصادنى ... وأتيت من سحر البيان فصدته

لما ظفرت به على حرم الهدى ... لابن البتول وللصلاة وهبته

ويقول حافظ إبراهيم من قصيدته العمريه فى وصفه مقابلة كسرى لعمر ابن الخطاب :

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلا وهو راعيها

رآه مستغرقاً فى نومه فرأى ... فيه المهابة فى أسمى معانيها

فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ... ببردة كاد طول العهد يبليها

فهان فى عينه ما كان يكبره ... من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقالت قولة حتى أصبحت مثلا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

هل البعث مرحلة :

نعم مدرسة البعث كانت بالفعل مرحلة للانتقال منها إلى مدرسة أخرى تطرح سلبياتها، وتأتى بشىء جديد يتلاءم مع ظروفها ومع الحياة، فكانت مرحلة لمدرسة « الديوان » الذهنية التى طرحت شعر المناسبات ، وعالجت كذلك القصيدة البعثية ، واهتمت بالمعانى والأفكار ... الخ

ولكن الاندفاع وراء الهوى ، وحب الجديد ، يجعل بعض النقاد يسرفون فى الغض من حركة البعث ، ويتغاضون عما بها من وسائل خلودها . وهو البيان العربى الذى يتجلى فى شعر شعرائها، فاللغة العربية هى لغة البيان والفصاحة ، ولا غنى بالفكر عن البيان، وعن حسن استخدام اللفظ والعبارة، ونسج الكلمات وتلاؤمها بعضها مع بعض بحيث تكون متآخية يأخذ بعضها بأعناق بعض .

ونعرض باختصار شديد ما يقول المتحاملون على مدرسة البعث ، حتى ليدعون إلى طمرها ويظنون أنها لن تقوم لها قائمة ، كما سنرى ما يقول المدافعون عنها باختصار كذلك .

المتحاملون على البعث :

يقول هؤلاء : مهما نقل عن مدرسة البعث وعن مآثرها ومزايا شعر شعرائها ومهما يدافع المدافعون عن استخدامهم لألفاظ قديمة نصف الزمان والمكان القديمين.

فى العصور القديمة ، وفى صحراء الجزيرة العربية بأنها كانت رموزًا للتعبير عن معالم نفسية ومادية جديدة . فالشاعر حينما يتشوف إلى مسارح أنسه بمصر مستخدماً تلك الألفاظ ، فيقول :

أين ليالينا بوادى الغضا[1] ذلك عهـــد ليته ما انقضى
كنت به من عيشتى راضياً حتى إذا ولى عدمت الرضا
أيام لهو وصبـــا كلما ذكرتها ضاق على الفضا

إنما يتخذ « وادى الغضا » رمزًا لأعز الأماكن عليـــه فى مصر ، مستغلا ما فيه من ظلال نفسية وشحنات عاطفية يخلعها عليه الاستخـــدام القديم له فى شعرنا القديم .

كذلك مهما نقل تبريرًا لشعراء مدرسة البعث فى إضفاء الجو العربى القديم على شعرهم بالمحافظة على عمود الشعر العربى كابتداء القصيدة ـ مهما يكن غرضها ـ بالغزل التقليدى ـ مهما نقل إن ذلك لون من النزوع إلى الماضى بتراثه المجيـــد وتاريخه العظيم ، وأن مرحلة الإحياء تقتضى أن يقوم الشعر فيها على محاكاة شعر قديم ، ليعود الشعر إلى الأصالة والجمال .

ومهما نقل بأن مدرسة البعث أسهمت بشعرها فى النضــال وحققت بشعرها الانتصار ، وأنها بلغت الغاية فى تعبيرها الشعرى جمال موسيقى وروعة بيان . . .

فإن مدرسة البعث قد طغى فيها شعر المنــاسبات على بقية الظواهر الشعرية الأخرى فأصبح مثل هذا الشعر الذى يقال فى افتتاح مدرسة أو موت عظيم أو تـكريم نابه على حد تعبير طه حسين[2] ، « أصبح كهذه الـكراسى الجميلة المزخرفة

---

(١) وادى الغضا : مكان بالجزيرة العربية .
(٢) حافظ وشوقى ١٤٩، ١٠ .

التى تتخذ فى الحفلات والمآتم، وأصبحنا لا نتصور حفلة بغير قصيدة لشوقى أو حافظ كما أننا لا نتصور عيداً أو مأتماً بغير مغن أو مرتل للقرآن » .

ومثل شعر المناسبات لا يعبر عن وجدان خاص، وتجارب صادقة ، لأن الشاعر سيكون مضطراً فيه لأن يتشكل بما يلائم المحافل ومواقف الخطابة، وذلك بالتعبير المباشر الذى يجعل الشعر قريباً من النثر ، فتفسد فنيته ، ويكثر به ما يستلزم الأسلوب الخطابى من أفعال الطلب وما إليها، وشوقى رأس مدرسة البعث يستأثر بعدد كبير من مطالع القصائد التى على هذه الشاكلة ، مثل : قم فى فم الدنيا ، قم ناج جلق ، قم حى هذى النيرات ، قف ناد أهرام الجلال ، قف بالممالك وانظر دولة المال ، قف على كنز بباريس ثمين . . إلخ .

ومما يدل على أن هذه المدرسة معنية بالقديم ، بل مغرمة به أكثر من عنايتها وغرامها بالتعبير عن ذاتها وشخصيتها — أن أصحابها اتخذوا معارضة قصائد القدماء هدفاً ، فأكثروا من قصائد المعارضة لكبار شعراء الشرق والأندلس، وأتوا من شعرهم بقصائد تتفق معها وزناً وقافية وغرضاً ، كما تتفق كثيراً معها فى ألفاظها ومعانيها وأخيلتها ، وهذا شوقى أيضاً يعارض بقصائده قدامى الشعراء ، من شرق ومن غرب ، ولا سيما الأندلسيين ، فيعارض البوصيرى فى بردته التى مطلعها :

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

فيقول فى نهج البردة :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

ويعارض البحترى فى قصيدته فى وصف ديوان كسرى ، ومطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جبس

فيقول فى مستهل سينيته :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

ويعارض لسان الدين الخطيب فى موشحته التى أولها :

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلماً فى الكرى أو خلسة المختلس

فيقول فى موشحته هو :

من لنضـــو يتنزى ألما برح الشـــوق به فى الغلس

حن للبان وناجى العلما أين شرق الأرض من أندلس ؟ !

كذلك فإن مدرسة البعث قد صرفت غاية شعرائها إلى التشكل دون المضمون أو إلى الشكل أكثر من المضمون ، لأنهـا عنيت أولا بالصياغة وأفرطت فى الجانب البيانى ، حينما جعلت مثلها الأعلى الصياغة البيانية الجميلة المشرقة ، على نمط النماذج التى خلفها التراث لذلك ، ولم يشتمل شعرهم على أفكار دقيقة ، ولم يمثل تجارب عميقة ، ولم يوضح شخصية الشاعر ونفسيته ونظرته الخاصـة إلى الناس والوجـــود ، واتفقت أفكارهم وصورهم وتجاربهم ، كما اتفقت أساليبهم وصيغهم .

وشبه العقاد شعر هذه المدرسة لذلك « بالوجوه المستعارة التى فيها كل ما فى وجوه الناس وليس فيها وجه إنسان »[1] ، ويصفه بأنه « شعر النماذج » .

وكذلك فإن مدرسة البعث لم تراع الوحدة العضوية فى شعرها ، إذ جاءت أغلب قصائدها مشتملة على عدة أغراض ، وجاء كل غرض فيها غير مترابط المعانى .

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم ، ص ١٦١ .

الدفاع عن البعث مستمر :

أما المدافعون عن مدرسة البعث فيقولون إن مدرسة البعث سوف تبقى وتظل لأن تلاميذ مدرسة البعث ـ مهما امتد الزمان واشتد العدوان ـ كثيرون متمسكون بخصائص شعر هذه المدرسة ، وأهمها الأسلوب البيانى المحافظ الرائق الرائع الذى يعبر عن الشاعر وعصره وبيئته ، وعن الناس والحياة والطبيعة من حوله ، وهم يؤمنون فى الشعر قبل كل شىء بالصنعة وصفاء الديباجة وحسن نسج الكلام ، وما بعد هذا عندهم ففضل ، وما دامت قضية اللفظ والمعنى لم تحسم ولن تحسم لصالح أى منهما ـ فسوف تظل هذه المدرسة قائمة .

وهذا حافظ إبراهيم أحد أفراد مدرسة البعث ، الذى عاش عصر مدرسة الديوان العقلانية وولادة مدرسة أبوللو الوجدانية ، وكان هدفا لسهام الكثيرين وبخاصة أهل الديوان ، يرى ويرى معه الكثيرون من أبناء مدرسته أن جلال الشعر وبهاءه ليسا فى التعلق بدقائق المعانى ، وإن تزايلت من دونها الألفاظ ، وإن أدق المعانى وأجلها قد تقع للدهماء فى حوارهم ومشاع كلامهم ، أما إشراق الديباجة وفصاحة القول وتلاحم النسج ورصانة القافية ـ فذلك الشعر . أليس يبهرك ويروعك ويشيع فيك كل الطرب ، قول البحترى مثلا :

ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا مقصرًا فى ملامة أو مطيلا
لم يكن يومنا طويلا بنعما ن ولكن كان البكاء طويلا

وقوله :

وقفة بالعقيق تطرح ثقلا من دموع بوقفة بالعقيق

وقول الشاعر :

يا ليت ماء الفرات يخبرنا أين تولت بأهلها السفن

إلى غير ذلك من رائع الشعر مما لا يتناوله الحصر [١] .

على أنه لا غناء للشعراء عن شعر المناسبات فالناس للناس، والتعبير عن الفرحة بحادث سعيد ، وعن الفجيعة لحادث مؤسف أمر طبيعى ، فهذه الحياة وشأن الناس ، الشعراء منهم وغير الشعراء ، دعك من هذا الشعر الذى يقال لمجرد المجاملة دون إحساس، وينظمه النظامون المتشاعرون . ولأنه لا غنى عن شعر المناسبات ، فإننا نجد الشاعر الحق حينما يضطر إليه يخلع عليه أحاسيسه ومشاعره ، ثم ينتقل من المناسبة الخاصة إلى ما تتداعى إليه المعانى من شتى الموضوعات فتصبح المناسبة الخاصة وسيلة للتعبير عن معان شتى وخواطر نفسية وشئون اجتماعية متعددة .

ولأنه لا غنى عن شعر المناسبات كذلك ، نجد أن الناهضين لحركة البعث والناعين عليها لجوءها لهذا الشعر ـ قد نظموا بوعى أو بغير وعى منهم ، شعر المناسبات وأغلب الظن أنهم كانوا واعين تماماً به ، لأنه كما قلنا شىء ضرورى تستوجبه حياة الناس وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وحاجتهم فى المسرات أن يتبادلوا عبارات التهنئة، وفى الملمات أن يتبادلوا عبارات التعزية ، ولغة الشعراء هى الشعر، فلا بد منه بالنسبة لهم فى المسرات والملمات،وذلك شعر المناسبات، ولذلك وجدنا أن العقاد وهو رأس مدرسة الديوان ينظم شعر المناسبات ، ووجدنا أحمد زكى أبو شادى وهو رأس مدرسة أبوللو ينظم شعر المناسبات كذلك ، وما أكثر ما نعيا عليه ودعوا إلى رفضه .

دور خليل مطران فى التقليد والتجديد :

يرى بعض النقاد أن خليل مطران كان مدرسة وحدة فارقة أو واصلة بين مدرسة البعث ومدرسة الديوان ، ويرى البعض أنه مجرد حلقة اتصال لا ترقى إلى

(١) قصة الأدب فى مصر ، د . محمد عبد المنعم خفاجى ، جـ ٥ ، ص ٢٢٢ .

مستوى المدرسة المستقلة ، ولعل هذا الرأى الثانى يكون هو الرأى الأرجح ، لأن خليل مطران لم يكن فى تقليده وتجديده ذا موقف محدد ، على أنه كذلك لم يرسم خطة لمذهب جديد أخذ يبشر به ويدافع عنه بقوة . . ولكنه جرى على مذهب التقليد إيماناً منه بجدوى بعض أصوله ، ثم ساقته سليقته ودراساته فى الأدب الفرنسى وفطنته — إلى إدخال عناصر تجديدية ترقى بالقديم أو تمهد للجديد ، فحق له أن يكون مجدداً وإن لم يحق له أن يكون صاحب مدرسة .

لقد راد خليل مطران الشعر الموضوعى فى نهضتنا الشعرية الحديثة ، وهو الشعر الذى يتخذ مادته من « صفات الشيء أو الموضوع الخارجى والآراء التى تقوم على اعتبارات خارجية ، والأحكام التى تبنى على مشاهد المحسوس وعلى مقتضيات المنطق، لا على الذوق والميل الشخصى »[1] .

يقول د . محمد مندور : « وقد غلب الخليل فى شعره الموضوعية على الذاتية ، فلم يعد شعره أو لم يعد معظمه تغنيا بعواطفه الخاصة وآماله وآلامه ، بل خرج بالشعر عن نطاق شخصية الشاعر ، وكما اتخذه وسيلة للقص ، اتخذه وسيلة للوصف والتصوير . . وكثيراً ما يضيف إلى كل هذه العناصر هدفا فكريا أو اجتماعيا يزيد شعره ثراء »[2] .

فمطران جدد حينما نظم القصائد القصصية والملحمية والصور الوصفية الجديدة ، وعنى بالبناء الفنى المحكم للقصيدة ، ونوع القوافى فى القصيدة الواحدة .

ولكنه ظل يلبس شعره ثوب التقليد والمحافظة بصياغته البيانية التقليدية وبشعر المناسبات والمدائح الذى أسرف فيه ، وبألوان البديع التى نثرها فى أبيات

(١) فى الأدب الحديث لعمر الدسوقى ج ٢ — ط ١ — ص ٢٥٠ وما بعدها .
(٢) محاضرات عن خليل مطران و د . محمد مندور ، ص ٣٠ .

قصائده ، وكمثال على ذلك قصيدته فى تهنئة الخديوى عباس الثانى عقب فتح السودان إذ يقول فى مطلعها :

النيل عبدك والمياه جـوارى   بالبمن والبركات فيه جـوار
أمنته بمعاقل وجـوارى   وجعلته ملكا عزيز جوار

يقول طه حسين فى خطاب وجهه إليه عام ١٩٤٧[١] :

« وأنت رسمت للمعاصرين هذه الطريق الوسطى التى تمسك على الأدب العربى شخصيته الخالدة ، ويتيح له أن يسلك سبيله إلى الرقى والـكمال » .

ويقول عبد العزيز الدسوقى إنه : « لم يحاول الخروج دفعة واحدة على تعاليم الحركة التقليدية . . وظل يتسلل إلى النفوس بتجديده شيئاً فشيئاً ، وظل يؤمن طوال حياته بأن المجدد يجب أن يتأنى فى تجديده ، ولا يفاجىء السليقة العربية دفعة واحدة ولا يخرج على المألوف[٢] .

ثم يقول: « وهذه الآراء ليست من استنتاجى ، وإنما هى من كلام الخليل نفسه، فهو يقول فى مقدمة ديوانه : إنه حاول استخدام بعض الألفاظ والتراكيب على غير المألوف ، مع احتفاظه بأصول اللغة ، وأنه لم يكن مبتكراً لما صنع ، فقد فعل فصحاء العرب قبله فى التوسع فى مذاهب البيان ما لا يقاس إليه فعله ، فجاراهم فى تصريف الـكلام على ما اقتضاه عهده من أساليب النظم[٣] .

ورأى أنه حتى إذا لم يكن الخليل قد قاد حركة التجديد ، فإنه على الأقل قد وضع نواتها وبذرتها وهذه لاشك ريادة منه، ويعترف بذلك عبدالعزيز الدسوقى

---

(١) نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر ص ١٥١ وما بعدها .
(٢) جماعة أبوللو وأثرها فى الشعر الحديث ، لعبـد العزيز الدسوقى ص ٨٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٨٨ وديوان الخليل ص ٨ .

الذى ينكر عليه قيادة حركة التجديد ، إذ يقول : « ولا استبعد أن يكون قادة حركة التجديد (جماعة الديوان وجماعة أبوللو . .) قد اهتموا ببذور التجديد التى وضعها « الخليل » فى مطلع هذا القرن، واستفادوا منها على نحو ما[1] .

(١) جماعة أبوللو ، ص ٩٠ .

مدرسة الديوان[1]

وهى التى تتمثل فى شعر عبد الرحمن شكرى (١٨٨٦ـ ١٩٥٨ م) ، وتعاليم وأبحاث عباس العقاد (١٩٨٩ـ١٩٦٤ م) وإبراهيم عبد القادر المازنى (١٨٨٢ـ ١٩٤٩ م) ، وهم من ذوى الثقافة الأدبية الإنجليزية بالإضافة إلى الثقافة العربية ، ومن المفكرين الذين يغلبون جانب العقل فى شعرهم ، ومن الشباب الطموح الذى يرى آماله أكبر من إمكانات عصره .

وقد حملت هذه الجماعة التجديد فى مطلع القرن العشرين ، ووقفت فى وجه مدرسه البعث المحافظة ، التى عنيت بجمال الصياغة ورنين الموسيقى فى شعرها .

ظروف نشأتها :

ساد التيار البيانى المحافظ منذ البارودى ومن بعـده شوقى وحافظ ومن حذا حذوهما .

وكان هدف هذا التيار هو البعث الأدبى ليوا كب البعث الوطنى فكان شعره اجتماعيا مسخرا للإصلاح الاجتماعى والدينى، والتغنى بأمجادالعرب والإسلام، ومدح الملوك والأمراء والكبار ، والنعى على الظلم الاجتماعى .

وقد ضاع فى هذا التيار شعر الوجدان الفردى، والمشاعر الخاصة ، لأن شعراءه انصرفوا إلى الطبقة العالية من المجتمع ، ولم يحفلوا بالسواد الأعظم من الشعب ، فعبروا عن غيرهم ، ولم يعبروا عن أنفسهم .

(١) سميت مدرسة الديوان أو جماعة الديوان بهذا الاسم نسبة إلى كتاب «الديوان» تجاوزاً، وإن كان الديوان من تأليف العقاد والمـازنى فقط ، لأنه بالرغم من عدم اشتراك شكرى فى تأليفه ، فإنه يحمل وجهة نظره فى الأدب والنقد .

وحين ظهر الجيل الجديد فى مطلع القرن الحالى ، متسلحا بالثقافة الغربية ، وأحس بما لديه من إمكانات فكرية، وكان هذا الجيل من أبناء الطبقة الكادحة، ويطمح بما لديه من المواهب والثقافة أن يكون له مكان على مسرح الحياة الأدبية والنقدية، ثم كانت ظروف المجتمع قاسية، والاستبداد والعنف والظلم والظلام السياسى سائدا — أحس هذا الجيل بالمرارة ، إذ منيت نفوسهم بالخيبة ، وأصيبت آمالهم بالإحباط ، فأخذ شكرى والعقاد والمازنى بمعاول الهدم يحطمون أعلام الاتجاه القديم كشوقى وحافظ، وكثرت شكاواهم ، وانعكس طابع الأسى على كثير من نماذج شعرهم .

ولأن شعراء الديوان كانوا يصدرون فى شعرهم عن نفوس ثائرة ، وثقافة متنوعة، فإنك تلمح اشتمال شعرهم على مذاهب الأدب المختلفة، والفلسفات المتباينة.

خصائص شعر الديوان :

تتلخص خصائص شعر مدرسة الديوان فى خصيصتين : التجريدية والذهنية ، والتجريدية تتمثل فى جانبين : جانب المفهوم الحقيقى للشعر ، وجانب الشكل الفنى للقصيدة .

والمفهوم الحقيقى للشعر عندهم هو : أن الشعر تعبير عن النفس الإنسانية فى فرديتها وتميزها ، والشكل الفنى للقصيدة هو مايقوم على اعتبارها كائنا حيا ، لكل جزء من أجزائه وظيفة ومكان كوظيفة عضو الجسم ومكانه. ولعل أصدق تعبير عن دعوة جماعة الديوان إلى شعر الذات — البيت الذى صدر به شكرى ديوانه الأول « ضوء القمر » الذى أصدره سنة ١٩٠٩ :

ألا ياطائر الفردوس إن الشعر وجدان

ولذلك قالوا : إنك إذا قرأت ديوان شاعر ، ولم تعرفه منه ، ولم تتمثل لك شخصية صادقة لصاحبه ـ فهو إلى التنسيق أقرب منه إلى التعبير .

وأما الذهنية فتتمثل فى رعاية الجانب الفكرى فى النسيج الشعرى ، وعدم قصر هذا النسيج على خيوط من العاطفة وحدها ، فالواجب عندهم أن يخاطب الشعر العقل ، كما يخاطب القلب ، وأن يتسع مفهوم الوجدان بحيث يشمل كل ما يجده الإنسان فى نفسه من شعور ومن فكر معا[1] .

ولذلك نعى شعراء الديوان على المحافظين اتخاذهم النماذج الأدبية البيانية القديمة مثلا أعلى لهم ، كما نعوا عليهم زجهم بالشعر فى المناسبات والمحافل ، والبعد به عن النفس الإنسانية ، كما عابوهم كذلك على الاهتمام بقشور الأشياء وظواهرها ، وعدم انفتاح الشخصية وتميزها ، ثم عابوهم على عدم رعاية الوحدة العضوية فى القصيدة .

التزام جماعة الديوان بمذهبهم الشعرى :

التزم جماعة الديوان بمبادىء مذهبهم الشعرى ، غير أنهم بعد فترة من الزمن ، وبعد ابتعادهم عن حالة رد الفعل التى صاحبت بداية حركتهم ـ ارتدوا إلى شىء من مذهب المحافظين فى النظم فى المناسبات ، وهذا العقاد رأس الجماعة يعود فيمدح ، ويشارك بشعره فى المناسبات ، ثم يعتذر عن ذلك بأن المدح الصادق لا يعاب على الشاعر[2] ، بل إنه وبعض أصحابه أخذوا يعارضون بعض نماذج الشعر القديم ، كمعارضتهم لنونية ابن الرومى ، على أن بعض قصائدهم لا تتحقق فيها الوحدة العضوية ، كما طالبوا بها فى كتاباتهم .

---

(١) بتصرف من « تطور الأدب الحديث فى مصر » للدكتور أحمد هيكل ص ١٥٠ ، نقلا عن العقاد فى « شعراء مصر وبيئاتهم » ، وديوان « بعد الأعاصير » .

(٢) مقدمة ديوان « الأعاصير » ، و « شعراء مصر وبيئاتهم » ص ١٨ .

نماذج من شعر الديوان :

من شعر الذات المعبر عن وجدان الشاعر ، وهو ماشتهرت به هذه المدرسة ـ قصيدة العقاد التي يشكو فيها ظلم الحياة وقسوتها ، والتي يقول فيها[1] :

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا ... عذب المدام ولا الأنداء ترويني
حيران حيران لا نجم السماء ولا ... معالم الأرض في الغماء تهديني
يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدانيني ، ولا سمر السمار يلهيني
غصان غصان لا الأوجاع تبليني ... ولا الكوارث والأشجان تبكيني
أسوان أسوان لا طب الأساة ولا ... سحر الرقاة من اللأواء يشفيني
سأمان سأمان لا صفو الحياة ولا ... عجائب القدر المكنون تفنيني
أصاحب الدهر لا قلب فيسعدني ... على الزمان ، ولا خل فيأسوني

ومما هو من هذا القبيل الذي بلغ بصاحبه حد اليأس ، بل درجة أحس فيها بالموت ـ قول المازني يرثي نفسه :

قضى غير مأسوف عليه من الورى ... فتى غره في العيش نظم القصائد
وقد كان مجنونا تضاحكه المنى ... وفي ريقها سم الصلال الشوارد
فعاش وما واساه في العيش واحد ... ومات ولم يحفل به غير واحد
أراد خلود الذكر في الأرض ضلة ... فأورده النسيان مر الموارد

ومن شعر الديوان الذي اتجهوا إليه واشتهروا ـ وبخاصة العقاد ـ به ، وهو ما يتخذ الحياة مادة وموضوعا له ، مع إسباغ روح الشاعر وعاطفته وإحساسه عليه ـ قول العقاد في قصيدة « الصدار الذي نسجته »[2] :

---

(١) ديوان العقاد جـ ٢ ص ١٥٤ .

(٢) ديوان « أعاصير مغرب » للعقاد ص ٣٥ .

هنا مكان صدارك هنا هنا فى جوارك
هنا هنا عند قلبى يكاد يلمس حبى
وفيه منك دليل على المودة حسبى
ألم أنل منك فكره فى كل شكة إبره
وكل عقدة خيط وكل جرة بكره

هنا مكان صدارك هنا هنا فى جوارك
والقلب منه أسير مطوق بحصارك
نسجته بيديك على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى مازلت فى إصبعيك

الفصل الثالث

جماعة أبوللو وخصائص شعرها

جماعة أبوللو هى تلك الجماعة التى تجاوزت بشعرها مرحلتى البعث والديوان ، أى مرحلة البيان المنمق لدى البعث ، والعقل المتفلسف لدى الديوان ، لتنطلق إلى آفاق الابتداع المنطلق ، والعاطفة الجياشة المتدفقة .

وقد راد هذه الجماعة الدكتور أحمد زكى أبو شادى (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥ م) وكان من أبرز أعضائها إبراهيم ناجى (١٨٩٨ ـ ١٩٥٣ م) ، ومحمد عبد المعطى الهمشرى (١٩٠٨ ـ ١٩٣٨ م) ، وعلى محمود طه (١٩٠٢ ـ ١٩٤٩ م) ، وحسن كامل الصيرفى ، وصالح جودت وغيرهم .

ولقد كان من بين أفراد هذه الجماعة ، بل أحد أعضاء مجلس إدارة جمعيتها واللجنة التنفيذية لها ـ شاعرنا إسماعيل سرى الدهشان (١٨٨٤ ـ ١٩٥٠ م) ، غير أنه ـ كما سوف نرى من شعره ـ لا ينتمى إلى مدرسة أبوللو أو إلى مدرسة الديوان قدر ما ينتمى إلى مدرسة البعث ، مثله كمثل أحمد شوقى رأس مدرسة البعث الذى اتخذته جماعة أبوللو رئيساً لجمعيتها .

تاريخ ظهورها :

يرى البعض أن جماعة أبوللو يبدأ تاريخها مع صدور مجلة أبوللو عنها عام ١٩٣٢ م ، وتكوين جمعيتها فى العام نفسه ، باعتبار أن أهم أعضائها أخـــذوا يتجمعون ويظهرون بأشعارهم على صفحات هذه المجلة ، فكانت هى محور ومركز

هذا التجمع والظهور ، وما نتج عن ذلك من اتضاح خصائص شعرها ، وتأثيرها على حركة الشعر وتياره .

ولئن صح أن ظهور جماعة أبوللو كان مع مطلع مجلة أبوللو — فإنه مما لاشك فيه أن أفراد هذه الجماعة الذين ملأوا صفحات مجلتها بالجديد والجيد من شعرها الإبداعي الرومانسي المنطلق — كانوا قبل أن ينشروا فيها أشعارهم قد نضجوا تماماً ، ولم تكن هي بالنسبة لهم إلا وسيلة نشر وأداة إعلان .

لقد كانوا بالفعل ينشرون قبلها أشعارهم التي تكتمل فيها خصائص مدرسة أبوللو في المجلات التي كانت تصدر آنذاك كالسياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي والمصور والهلال و المقتطف وغيرها .

ويرى البعض الآخر أن جماعة أبوللو يبــدأ تاريخها عقب وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ م أو قبيل ذلك[١] . أو يبدأ عام ١٩٢٧ مع صدور ديوان « الشفق الباكي » لرائد الجماعة أحمد زكي أبو شادي[٢] .

هل نسميها مدرسة ؟

يرى بعض النقاد أن اسم المدرسة لا يطلق إلا إذا قام الاتجاه على دعائم فلسفية وقيم فنية محددة[٣] ، وهذا غير موجود في اتجاه هذه الجماعة .

ولكن يتفق الجميع على أن جماعة أبوللو — سواء من يسميها مدرسة أو من لا يسميها — قد اختارت أحسن ما رأت في الاتجاهين السابقين عليها (اتجاه المحافظين من مدرسة البعث ، والمجددين من مدرسة الديوان) ، وأفادت من الآداب الغربية

(١) عبد العزيز الدسوقي في « جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث » .
(٢) انظر عبــد العزيز دسوقي في « جماعة أبوللو » ، وأحمد هيكل في « تطور الأدب الحديث في مصر » ص ٣٠٩ .
(٣) تطور الأدب الحديث في مصر ص ٣١١ .

وأضافت إليها كثيراً من الخلق والابتداع ، مما شكل لها مجموعة من الخصائص الفنية المشتركة التى تجعل منها اتجاهاً مميزاً بين اتجاهات الشعر المختلفة .

وأرى أن هذه الوسطية لدى جماعة الديوان هى ذاتها مدرسة جديدة ، ويحق بها أن نسمى عمل هذه الجماعة « مدرسة » ، لأنه لا داعى مطلقاً أن تبتكر المدرسة كل شىء ، فتكون قواعدها وأصولها وخصائصها جديدة ، فالأفكار والأعمال دائماً متواصلة ، والجديد — كما يقولون — دائماً يولد من القديم ، فإذا كانت هذه الجماعة قد نهجت نهجاً معيناً — سواء اتفق مع ماقبله أو اختلف ، ثم جرت عليه — فإنها تكون بذلك قد وضعت بالفعل أساس مدرسة جديدة تنسب لها ، وترتبط بها وتطلق عليها. أما ما يقال عن مصطلح « مدرسة » ، وأنه لا يكون إلا حيث تكون الفلسفة والأصول المحددة . فإن ذلك أمر يمكن القول به نظريًّا ، أما فى التطبيق على الأدب وبخاصة الشعر ، فإنه لا يكاد يوجد ، ولذلك فما يقال عن تنوع واختلاف شعر وشعراء هذه المدرسة يقال مثله فى بقية المدارس .

ظروف نشأتها :

يقول الأستاذ مصطفى السحرتى فى ظروف وملابسات نشأة جماعة أبوللو :
« تلاطمت فى البيئة المصرية فى أوائل الثلث الثانى من القرن العشرين حركتان شعريتان، كان على رأس الأولى شوقى وحافظ ومن لفف لفهما ، وعلى رأس الثانية شكرى والمازنى والعقاد . وحاكت الأولى الشعراء القدامى فى اتجاهاتهم، وخلبت الأفئدة بموسيقاها العذبة الشجية ، ونزعت الثانية فى اتجاهها إلى الفكرة والمعانى وخفقت فى الحركتين روح العاطفة ، وكان من أثر هذا التلاطم أن وجدت حركة جديدة استمدت وحيها من مطران ، وقاد لواءها قبيل آخر عام ١٩٣٢ الشاعر

النابغة الدكتور أحمد زكى أبوشادى ، وتحلق حوله كوكبة من ذوى الصفاء والموهبة وأثاروا الجو الأدبى بآثارهم الشعرية الجديدة .

فقد عاون حركة أبى شادى على الظهور ما أصاب الاتجاه البعثى المحافظ من جمود ، وما لحق الاتجاه الديوانى الذهنى من انحسار .

ولتوضيح ذلك نقول : أما عن جمود الاتجاه المحافظ ، فذلك أنه لم يضف على الشعر القديم جديداً من الناحية الموضوعية بعد أن ظل يدور بشعره فى قضايا السياسة والاجتماع لايتخطاها ، وظل لا يعنى بغير الصياغة المتقنة فى التعبير ، والمحافظة على تقاليد الشعر العربى الموروثة من عهود الازدهار الشعرى ، مما دعا حافظ إبراهيم وهو أحد زعماء هذه المدرسة إلى الاعتراف بقصورها فى أداء ما يلزم للشعر الحديث وذلك إذ يقول[1] :

ملأنا طباق الأرض وجداً ولوعة ··· بهند ودعد والرباب وبوزع
وملت بنات الشعر منا مواقفاً ··· بسقط اللوى والرقمتين ولعلع
ونحن كما غنى الأوائل لم نزل ··· نغنى بأرماح وبيض وأدرع
عرفنا مدى الشىء القديم فهل مدى ··· لشىء جديد حاضر النفع ممتع

وأما عن انحسار الاتجاه الذهنى ، فبسبب توقف عبد الرحمن شكرى عن إصدار دواوين شعرية جديدة بعد إصداره ديوانه السابع « أزهار الخريف » سنة ١٩١٨ ، لما حدث بينه وبين المازنى والعقاد من جفوة ، ولخيبة أمله فى نيل ما كان يطمع فيه من مجد أدبى ، لقاء كثرة إنتاجه وتنوعه وروعته ، ولانصراف المازنى عن الشعر إلى الصحافة بعد إصداره ديوانه الثانى سنة ١٩١٧ ، ليكون حر التعبير فيما يعالج من شئون الحياة بالقصة والمقالات الاجتماعية ، ولاهتمام العقاد

---

(١) ديوان حافظ ج ١ ص ١٢٩ وما بعدها .

بالصحافة والكتابة السياسية ، ثم التأليف الأدبى والإسلامى ، مع استمرار اهتمامه بالشعر ، فهو الوحيد بين الثلاثة أصحاب هذه المدرسة الذى استمر فى دعوته لمبادئ مدرسته بما أخرجه من دواوين ؛ فأخرج ديوانه الأول سنة ١٩١٦ ، والثانى سنة ١٩١٧ . والثالث سنة ١٩٢١ ، وجمعها مع الرابع فى « ديوان العقاد » ونشره سنة ١٩٢٨ ، وأخرج ديوانى « وحى الأربعين » ، و « هدية الكروان » سنة ١٩٣٣ وديون « عابر سبيل » سنة ١٩٣٧ . . غير أن روح تلك الفترة قد أثرت فى شعر العقاد ، فحادت به بعض حيدان عن طريقته ومذهبه الشعرى ، فنظم فيما كان يحاربه من شعر المناسبات والمدائح والإخوانيات والقوميات والتهانى والتقريظات بما اقترب به من شعر المحافظين .

وبذلك أصبح هـذا الاتجاه الذهنى ضعيفاً لا يقوى على مواجهة الحياة بقوة العقاد وحده ، بل إن قوة العقاد قد توزعت ولم تعد مقصورة على تغذية هذا الاتجاه وعلى الدفاع عنه .

وبالرغم من انحسار الاتجاه الذهنى ، إلا أنه بما ترك أصحابه من شعر يمثله ، وكتابات نقدية تحدد طريقته ، وبما حفز من شعراء عديدين لينسجوا على منواله كمحمود عماد ، وعبد الرحمن صـدقى ـ استطاع أن يفتح الطريق لاتجاه أبوللو الجديد الذى استفاد منه ، وجرى على بعض أصوله ، ثم انطلق إلى آفاق شعرية واسعة من بعده .

ما حاولت مدرسة أبوللو أن تتفاداه :

حاولت مدرسة أبوللو أن تتفادى الصراع الذى وقع بين مدرستى البعث والديوان ، فحشدت فى جمعيتها وحملتها عناصر شتى من أصحاب المدارس الثلاث :

البعث والديوان وأبوللو ، بل ألفت « ندوة الثقافة » من سبع جمعيات أدبية وعلمية ، وفيها جمعية أبوللو ، وتألف مجلس الندوة من ممثلين لهذه الجمعيات ، ومهمته أن ينظر فى التعاون العام لخدمة الثقافة الأدبية والعلمية ، وصيانة حياتها ، وضمان مستقبلها .

وكان من الأهداف المقصودة بذلك ، فضلا عن تفادى الصراع والهجوم على مدرستنا الجديدة ، ألا يذوب شباب هذه المدرسة فى الاتجاهات الأخرى، بمحاربة المنافسة على الزعامات الأدبية ، وبث روح الديمقراطية فى الأدب ، وإحلال روح التآخى بين كل الهيئات والأفراد الذين يعملون لخدمة الثقافة عامة ، سواء فى الحقل الأدبى أو الاقتصادى أو العلمى[1] .

وقد استوعبت جماعة أبوللو بالفعل فى شعرها مبادئ التجديد التى نادى بها دعاة التجديد من قبل ثم تجاوزتها فى جرأة وبسرعة .

وهل سلمت أبوللو من الهجوم ؟

ومع ما حاولت أبوللو من تفادى الهجوم ، فإنها لم تسلم منه سواء من شعراء التقليد ، أو شعراء التجديد ، وبالأخص العقاد الذى كاد لها وأغرى بها تلاميذه ، واستقبل دواوين شعرائها بالنقد العنيف ، وكان أول مقال له طلبته منه مجلة أبوللو — حملة على اسم « أبوللو » ، ومطالبة ملحة باستبداله باسم « عطارد » . ولقد حوّل بعض المهاجين من أنصار العقاد تحية شوقى لأبوللو إلى هجاء .

يقول شوقى :

أبوللو مرحباً بك يا أبوللو   فإنك من عكاظ الشعر ظل

---

(١) جماعة أبوللو لعبد العزيز الدسوقى ص ٣٢٧ وما بعدها .

فيقول الآخر :

أبوللو ضلة لك يا أبوللو   فإنك أنت للسفهاء ظل

بل لقد ألفت كتب ، ككتاب « أبوللو فى الميزان » ، وأنشئت جمعيات « كجمعية عكاظ » لمحاربة أبوللو[1] . ولكنها لم تجد فتيلا فى إثناء جماعة أبوللو عن قصدها وأداء رسالتها ، وسارت جمعيتها قدماً ، واستمرت مجلتها تحمل طابعها فى التجديد بما تنشره من الشعر الجديد .

عوامل ظهورها :

وإجمالا واستكمالا لما سبق الحديث عنه من ظروف نشأة جماعة أبوللو ــ نقول : لقد تعاونت على ظهور مدرسة أبوللو عوامل ثلاثة :

الأول : ما دار من صراع بين المحافظين والمجددين أدى إلى انكشاف إيجابيات وسلبيات كلا المذهبين، وجعل مدرسة أبوللو تختار الإيجابيات وترفض السلبيات ، وتخرج بمذهب جديد جامع لإيجابيات كل منهما ، فجمعت إلى جمال الأسلوب وعذوبة الموسيقى ومائية الشعر لدى المحافظين ــ الصدق الفنى، والتعبير عن الدوافع النفسية والحقائق الكونية ، والاهتمام بالوحدة العضوية والصورة الشعرية لدى المجددين، وحاولت ألا تقع فى الخطابية والدوران فى الأغراض الشعرية القديمة وشعر المناسبات مما يلغى شخصية الشاعر كما حدث عند المحافظين ، وألا تقع فى العقلانية والجفاف الشعرى كما حدث عند المجددين .

والعامل الثانى : التأثر بشعر الرومانتيكيين الأوربيين ، وخاصة الإنجليز ، من أمثال : ورد زورث، وبيرون، وشيلى، وكيتس .

---

(١) جماعة أبوللو لعبد العزيز الدسوقى ص ٣٣٢ وما بعدها

والعامل الثالث : التأثر بالشعر المهجرى ، وقد كان هذا الشعر أقل ذهنية ، وأغزر عاطفية من شعر المجددين ، وكان يصل إلى مصر من خلال كتب المهجريين ودواوينهم، وقصائدهم التى تنشرها المجلات الأدبية فى مصر كالمقتطف والهلال .

والعامل الرابع : التأثر بروح الثـــورة الوطنية التى اجتاحت مصر فى العشرينات والثلاثينات ، مما أدى إلى الإحساس باستقلال الشخصية ، والحرية الفردية ، ثم التأثر بنتائج الظلم الاجتماعى والفساد السياسى والتأزم الاقتصادى الذى تلا ذلك ، مما أدى إلى الإحساس بخيبة الأمل ، والنزوع إلى الانطواء ، والتعزى بالحب ، والانغماس فى الطبيعة والرؤى والأحلام .

خصائص جماعة أبوللو الشعرية[1] :

أولا ـ من حيث موضوعاتها : اهتمت جماعة أبوللو بموضوع الحب ملاذا لهم من ظلم الناس، وتعب الحياة ، وعالما علويا يسمون إليه بعواطفهم .

يقول إبراهيم ناجى :

سمـــوت كأننى أمضى إلى رب ينادينى
فلا قلبى من الأرض ولا جسدى من الطين

ويقول أبو شادى :

أمانًا أيهـــا الحب سلامًا أيهـــا الآسى
أتيت إليك مشتفيا فرارًا من أذى الناس
فررت وحـــولىَ الدنيا تحارب كل إحساسى

---

(١) بتصرف من « تطور الأدب الحديث فى مصر » للدكتور أحمد هيكل .

واهتمت الجماعة بالطبيعة يمتزج بها الشاعر ، ويلوذ بها كما لاذ بالحب بعيداً عن صخب الحياة وظلم الدهر . يقول إبراهيم ناجى :

قلت للبحر إذ وقفت مساء　　كم أطلت الوقوف والإصغاء
وعجيب إليك يممت وجهى　　إذ مللت الحياة والأحياء
أبتغى عندك التأسى ما تمـــلك ردا وما تجيب نداء

كذلك اهتموا بالحنين إلى الماضى السعيد ، ابتعاداً عن الحاضر الكئيب ، والواقع المؤلم . وقد رجع الشاعر خائبا حزينا ، لأنه لايجد فى الماضى الذى انقضى سلوة ، فيزداد هماً على هم ، يقول ناجى فى دار أحبابه التى تغير منها كل شىء :

هذه الكعبة كنا طائفيها　　والمصلين صبـــاحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها　　كيف بالله رجعنا غرباء

———

دار أحبابى وحبى لقيتنـا　　فى جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت إن رأتنـا　　يضحك النور إلينا من بعيد

———

رفرف القلب بجنبى كالذبيح　　وأنا أهتف يا قلبى اتئـــد
فيجيب الدمع والماضى الجريح　　لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعـــد

———

أين ناديك وأين السمــــر ؟　　أين أهلوك بساطا وندامى ؟
كلما أرسلت عينى تنظـــــر　　وثب الدمع إلى عينى وغاما

واهتمت الجماعة بالشكوى، حتى لقد أصبحت الشكوى فى بعض الأحيان كأنها تعبير عن متعة الحزن ، ولذة الألم ، فأخذوا يشكون لمجرد الشكوى ، وهذا شأن الرومانتيكيين فى اعتقادهم أن الألم يطهر النفس، والحزن يسمو بالروح .

يقول الهمشرى :

أرى صفحة الآمال قد ضاق أفقها ولاح على اليأس البعيد مديدا
لقد عشت فى دنيا الخيال معذبا فيا ليت شعرى هل أموت سعيدا

ويقول محمود حسن إسماعيل :

يا شاكى الهم لأيامه لقد شكوت البغى للباغيه
أقصر عن الشكوى إليها فما دنياك إلا حية غاويه
غبن من الأيام لا رحمة تحيى ، ولا صبر على العاديه
ولا فناء عاجل أشتهى فى ورده الراحة مما بيه

ومما اهتم به شعراء أبوللو تصوير البؤس فى المجتمع وضحاياه من البؤساء ، كالفلاح والبغى والشريد .

يقول أبو شادى فى الفلاح :

هو ذلك الفلاح يا قومى الذى يحيا حياة سوائم ورغام
إنا جميعا مجرمون إزاءه حتى يخلص من هوى الإجرام
حتى ينال حقوقه فى عيشة خلصت من الأدران والأسقام

ومن موضوعاتهم : التأمل فى الكون وحقائقه ، ومن ذلك قصيدة ناجى « الحياة » ، التى يقول فيها :

جلست يوما حين حل المساء وقد مضى يومى بلا مؤنس
أريح أقداما وهت من عياء وأرقب العالم فى مجلس

سيان ما أجهل أو أعلم من غامض الليل ولغز النهار
سيستمر المسرح الأعظم رواية طالت وأين الستار

عيت بالدنيا وأسرارها وما احتيالى فى صموت الرمال
أنشد فى رائـع أنوارها رشدا ، فما أغنم إلا الضلال

على أن شعراء هذه المدرسة لم يهملوا النظم فى المناسبات ، وفى الشعر الوطنى والقومى ، وإن قل ذلك عندهم ، وبقيت الموضوعات الغالبة على شعرهم موضوعات الحب والطبيعة والحنين والشكوى والتأمل . . غير أنهم كانوا يتفاوتون فى التعلق بهذه الموضوعات، فناجى يكثر من شعر الحب المعذب المحروم ، وعلى محمود طه يكثر من شعر الحب المانح المعطاء ، والهمشرى يكثر من شعر الطبيعة والحنين، والصيرفى يكثر من شعر الشكوى والتألم ، ومحمود حسن إسماعيل يكثر من شعر الطبيعة والريف . . الخ .

وأما من حيث التعبير :

فقد تميز تعبير هذه المدرسة بصفتين : الابتداع المنطلق ، والعاطفة المتدفقة .

ويندرج تحت الابتداع :

١ — اهتمامهم بتراسل الحواس فى التعبير ، بمعنى أن يوصف المسموع بالمرئى أو الملموس أو المشموم، والعكس ، كوصف النغم أو العطر بالنعومة أو بالبياض . متأثرين فى ذلك بالشعراء الرمزيين ، وخاصة بودلير الشاعر الفرنسى الذى يقول: « إن العطور والألوان والأصوات تتجاوب » .

وهذا نوع من التوسع فى المجاز ، « فإذا كان أساس المجاز هو علاقة بين شيئين كالمشابهة فى الاستعارة مثلا ، فإن أساس هذا اللون من الاستعمال هو وحدة الأثر النفسى ، أو الملازمة الخارجية بين شيئين . . وهو سبيل من سبل توسيع اللغة وإثرائها ومرونتها وحيوية تعبيرها وتجددها » .

(١) « تطور الأدب الحديث فى مصر » ص ٣٣٢ .

يقول الهمشرى مخاطباً « النارنجة الذابلة » :

خنقت جفونك ذكريات حلوة ... من عطرك القمرى والنغم الوضى

فانساب منك على كايل مشاعرى ... ينبوع لحن فى الخيال مفضض

وهفت عليك الروح من وادى الأسى ... لتعب من خمر الأريج الأبيض

فوصف العطر المشموم بأنه قمرى ، وهذا منظور ، والنغم المسموع بأنه وضىء، وهذا منظور ، ووصف اللحن وهو مسموع بأنه مفضض ، وهذا منظور ، ثم وصف الأريج وهو مشموم بأنه أبيض ، وهذا منظور .

٢ — والتجسيم وهو تحويل المعنوى إلى حسى ينبض بالحياة ، كما يقول ناجى فى ذكرى الحب القديم :

زوت الصبابة وانطوت ... وفرغت من آلامها

عادت إلىَّ الذكريات ... بحشدها وزحامها

٣ — والتشخيص ، وهو تحويل ما ليس بإنسان إلى إنسان ، سواء أكان معنى مجرداً أم شيئاً محسًّا ، كقول ناجى :

والبلى أبصرته رأى العيان ... ويداه تنسجان العنكبوت

صحت : يا ويحك تبدو فى مكان ... كل شىء فيه حى لا يموت

وكقول الهمشرى :

فنسيم المساء يسرق عطراً ... من رياض سحيقة فى الخيال

٤ ـ والتجريد ، وهو تحويل المحس إلى معنى مجرد (عكس التجسيم) كقول عبد الحميد الديب :

كأنه حكمة المجنون أرسلها ... من غير قصد فلا تصغى لها أذن

هو الهدى صرفتكم عنه محنته ... إن العزيز مهين حين يمتحن

٥ ـ والتعاطف مع الأشياء ، والتوحد معها ، وجعلها تحس بإحساس الشاعر ، كقول الصيرفي عن « عقب السيجارة » :

في الأرض ملقاة مذهبة   هذى البقية من سجارتها
منبوذة كانت مقـــربة   من ثغرها تفنى لسلوتها

—

فرمت بها يا سوء ما يلقى   من عز يوما من هوى الغيد
يفنى الفؤاد هوى وما أشقى   قلباً يضحى فوق جلمود

٦ ـ التعبير بالصورة ، لتمثل الصـــورة جزئية أو كلية ، مشهدا خارجيا في الواقع ، وجوا نفسيا للشاعر ، كقول ناجي في عذاب محبوبه :

كم تقلبت على خنجـــره   لا الهـــوى مال ولا الجفن غفا

وقول الهمشري في قريته ليلة شتاء :

وقد نسجت أيدى الشتاء سياجها   عليها وأسوار الظـــلام تحاصر
لقد رنقت عين النهار وأسدلت   ضفائرها فوق المروج الضفائر

٧ ـ استخدام الرموز ، لتوحى بذكريات قديمة ، أو لتثير في النفس مشاعر خاصة ، كتعبير اللهب المقدس الذى يسترجع معابد الوثنيين ، حيث تؤدى الشعائر في حرارة ، وبإخلاص ساذج .. فحين يعبر به عن نار الحب مثلا ، فإنه يقربه من العبادة الحارة والإخلاص الفطرى ، وكتعبير « الشاطىء المجهول » ، الذى يوحى حين يعبر به بالمصير الغامض ، ويثير في النفس مشاعر اصطخاب الحياة ، كأنها محيط تنتهى أمواهه إلى شاطىء مجهول لايدرى ما يخبأ وراءه .

٨ ـ كثرة استخدام الألفاظ المرتبطة بالطبيعة ، والمتصلة بالدين وعالم الروح ، أو بوجه عام : كثرة استخدام الألفاظ الرشيقة المنغومة القادرة على خلق جو شعرى مجنح ، دون اعتبار لقيمتها المعنوية .

فمن النوع الأول ألفاظ : للشفق والغروب والفجر وللبحر والموج والجدول والربوة والرياح والمطر والزهر والزورق والشراع . . الخ .

ومن النوع الثانى ألفاظ : للمعبد والمحراب وللصلاة والتسبيح والراهب والملاك . . الخ .

يقول على محمود طه فى قصيدة غزلية :

دنا الليل فهيا الآن يا ربة أحلامى
دعانا ملك الحب إلى محرابه السامى
تعالى فالدجى وحى أناشيد وأنغام

سرت فرحته فى الماء والأشجار والحب
تعالى نحلم الآن ، فهذى ليلة الحب . . الخ

وكان على محمود طه أكثر استخداماً للألفاظ الرشيقة المنغومة الموحية بجو شعرى مجنح . وقصيدة « الجندول » له مثال واضح على ذلك ، ومن ألفاظها : عروس وعشاق وسمار وغيد وجندول وكأس وخمر وراح وعطر ولفتات .. الخ .

وأما من حيث موسيقاها :

فقد أكثرت هذه المدرسة من المنظومات الشعرية أو القوالب المقطعية للشعر ، وهى التى تتغير فيها القافية من مقطع إلى مقطع . وقد ظهر هذا اللون الموسيقى من قبل فى العصر العباسى المتأخر ، كالمزدوج والمربع والمخمس والمسمط . .

ومن أمثلة المربع قول ناجى فى قصيدة « عاصفة روح » :

أين شط الرجاء يا عباب الهموم
ليلتى أنواء ونهارى غيوم

أعـــولى يا رياح أسمعـــــى الربان

لايهـــــم الرياح زورق غضبـــــان

كما أكثرت من الشعر على نظام الموشحات الأندلسية ، وهم فى هذا أيضاً مسبوقون بالشعراء الأندلسيين .

وكذلك نظموا القصيدة من بحر واحد ، ولـكن فى حالات منه مختلفة ، فتـكون بعض أجزاء البيت بعدد من التفعيلات يختلف عن بعضه الآخر ، ولـكن مع التزام التماثل بين الأجزاء المتماثلة فى القصيدة ، أو فى مقاطعها إن كانت ذات مقاطع ، كقول الصيرفى :

ليتنى البسمة تعـــلو شفتيك مثلما تعلو طيور فوق أيك

تتنزى وهى تشـــــدو فى سكون

تختفى حينا وتبـــــــدو فى الغصون

فأرى من أين تأتى وتبين

وأرى هل أنت حقا تبسمين

لى من قلبك أم لا تحفلين

بسلامى وكلامى ؟ . . ليتنى !

وقد أدخل بعض شعراء « أبوللو » أوزاناً جديدة من البحور الشعرية المعروفة ، كقول أبى شادى فى قصيدته « أمل » ، وكل شطر منها من تفعيلة واحدة هى « فاعلن » :

يا أمل يا أمل

يا هدى من عمل

يا حلى للبطـــل

يا قوى فى الجلل

واستخدم بعضهم قالب الشعر المرسل، وهو الشعر العمودى الذى يلتزم الوزن دون القافية ، وكان قد بدأه عبد الرحمن شكرى ولكنه أخفق هو وغيره فيه ، لعدم اتفاقه مع طبيعة شعرنا العربى[1] . واستخدم بعضهم أكثر من بحر فى القصيدة الواحدة ، مع تنويع القافية ، وهذا اللون وما سبقه هو إرهاص لنظام الشعر الحر القائم على وحدة التفعيلة ، مع التحرر من القافية ، أو الإتيان بها عفو الخاطر دون رتابة أو نظام محدد .

وأما من حيث المضمون :

فقد أدى الضغط السياسى والاقتصادى ، وعدم إتاحة الفرصة لشعراء أبوللو فى تحقيق آمالهم - أن ينطووا على أنفسهم ، وأن يعزفوا أغانى الأسى واليأس ، ويبثوا أنفسهم بأشعارهم همومهم الفردية ولواعجهم الذاتية ، فجاء شعرهم مغلفا بغلاف الحزن ، مطبوعا بطابع اليأس والاستسلام . ومن أسماء دواوينهم يتبين المدى الذى وصلوا إليه من ذلك الأسى والأسف والقنوط ، فمن « وراء الغمام » لناجى، إلى « الملاح التائه » لعلى محمود طه، إلى « الألحان الضائعة » لحسن كامل الصيرفى ، إلى « الشفق الباكى » لأحمد زكى أبو شادى ، إلى « أزهار الذكرى » لعبد اللطيف السحرتى ، إلى « الزورق الحالم » لمختار الوكيل ، إلى « أحلام النخيل» لعبدالعزيز عتيق، إلى « الشاطىء المجهول » لسيد قطب، إلى «الأنفاس المحترقة » لمحمود أبو الوفا ، إلى « أين المفر ؟ » لمحمود حسن إسماعيل .. الخ .

وليس يعيب شعراء هذه المدرسة أنهم انطووا على أنفسهم ، وأنهم وقفوا سلبيين من قضايا مجتمعهم وعصرهم ، بدلا من أن يناضلوا بالكلمة ، ليحققوا

---

(١) انظر كتابنا « العروض الجديد : أوزان الشعر الحر وقوافيه » فى التمهيد .

للمجتمع والوطن حياة أفضل . . وراحوا يبكون ويحلمون ويهربون إلى أحضان الطبيعة حينا ، وإلى حنان الحب حينا آخر[1] ، فما فعلوه هو فى حقيقته الصدق مع النفس ، والإنسان بشر ضعيف ، والشاعر أشد الناس حساسية ، وقد قست عليهم الحياة بظروفها السياسية والاقتصادية ، فلم يستطيعوا حمل أعبائها ، ولم يطيقوا مواجهة لها ، بل لاذوا بالفرار منها إلى الحب وإلى الطبيعة، يجترون آلامهم ويعزفون أحزانهم، وهذا لون من الرفض، والرفض لون من الكفاح السلبى.

على أن الرومانسية كانت هى مذهب العصر ، فسرت عدواها إليهم وما أسرع ما تسرى العدوى إلى نفوس الشعراء الرقيقة وأرواحهم الشفافة . . على أن جمود الشعر فى موضوعاته وأساليبه وقوالبه الشعرية لدى شعراء البعث ، وخاصة فى أشعارهم التى نظموها فى المناسبات المختلفة - وكان هذا غالب أشعارهم - قد دفع هؤلاء دفعا إلى الهروب بحثا عن لون جديد من الشعر .

يقول د . محمد مندور - بعد شرحه ظروف العصر الذى ظهرت فيه «أبوللو» - : «فى مثل هذا الجو كان من المستحيل أن يظهر أدب غير أدب الشكوى والأنين الذاتى» .

ولعل بيتا قاله أبو شادى يحكى وحده حكاية ظلم المجتمع والحياة لشاعر طبقة الشعراء آنذاك ويبرر رد الفعل عليهم بالصورة التى وضحت ، وهو قوله :

وكأنى وحدى المسيء بإحسانى لمصرى أو أنه لم يسمنى .

وفى الحق إذا كان اللون الاجتماعى النضالى من الأدب قالبه النثر ، والنثر هو الصالح له واللائق به - فإن اللون الرومانسى العاطفى الذاتى قالبه الشعر ، والشعر هو الصالح له والجدير به ، ولعل هـذا هو الذى يمنح الشعر الرومانسى حياة أطول وأفضل ، لأن موضوعه لا يبلى على الزمان ، كما أنه الذى يمنع شعر المناسبات من البقاء ، لأن موضوعه يموت ويفوت بفوات المناسبة .

(١) فى الثقافة المصرية لمحمود أمين العالم ، وعبد العظيم أنيس ص ١٨٨ وما بعدها .

الدهشان فى أبوللو

وكيف ارتفع فيها مكانا عليا

أغراض جمعية أبوللو ودستورها :

حين صدر العدد الأول من مجلة أبوللو فى سبتمبر سنة ١٩٣٢ — قدمها للقراء صاحب المجلة ورئيس تحريرها وسكرتير جمعية أبوللو الدائم الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، شارحا أغراض جمعية أبوللو ودستورها ، فقال : الغرض من المجلة هو[١] : النهوض بالشعر العربى وخدمة رجاله والدفاع عن كرامتهم وتوجيه مجهوداتهم توجيها فنيا سليما . فقد « صارت حالة الشعر العربى فى عصرنا خليطا كريها من الحسن والقبح ، من الجودة والإسفاف ، من السمو والانحطاط . ومما كان ضغثا على إبالة الشعور القومى بالفردية . مما حال دون كل تضافر ، وساعد على استمرار التحاسد والتناحر بين الأدباء عامة والشعراء خاصة ، فانصرفت معظم الجهود إلى الشخصيات بدل التعاون على بناء هيكل الشعر الخالد » .

ثم قال: « ونظرا للمنزلة الخاصة التى يمثلها الشعر بين فنون الأدب ، واعتبارا لما أصابه وأصاب رجاله من سوء الحال — لم نتردد فى أن نخصه بهذه المجلة التى هى الأولى من نوعها فى العالم العربى ، كما لم نتوان فى تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هى جمعية أبوللو ، حبا فى إحلاله مكانته السابقة الرفيعة ، وتحقيقا للتآخى والتعاون المنشود بين الشعراء . وقد خلصت هذه المجلة من الحزبية ، وتفتحت أبوابها لكل نصير لمبادئها التعاونية الإصلاحية » .

---

(١) مجلة أبوللو — العدد الأول سبتمبر سنة ١٩٣٢ ص ٤ وما بعدها .

وقد حرصت جماعة أبوللو لذلك على أن يجعلوا رئيس الجمعية هو زعيم مدرسة المحافظين أحمد شوقى، الذى استقبل مجلة أبوللو فى عددها الأول بقصيدته التى نشرت فى افتتاحية العدد، مع صورة له، ومطلعها :

أبوللو مرحباً بك يا أبوللو فإنك من عكاظ الشعر ظل

كما حرصوا على إرضاء زعيم مدرسة الديوان، عباس العقاد، فطلبوا منه الإسهام فى تحرير العدد الأول من المجلة، واستجاب العقاد، وكتب مقالا بعنوان « أبوللو أم عطارد »، وطالب فيه بتغيير اسم أبوللو اليونانى الذى لا يدل على الشعر والأدب خاصة، واستبدال اسم « عطارد » العربى به، لأنه ـ فى نظر العقاد ـ هو الذى عرفه العرب والكلدانيون ربًّا للفنون والآداب، ولأنها ـ كما يرى ـ تسمية مألوفة فى آدابنا ومنسوبة إلينا.

وأما دستور الجمعية الذى نشره أبو شادى فى ذلك العدد الأول من المجلة ـ فيقول فى المادة ٣ شارحاً أغراض الجمعية، ومنها :

(ا) السمو بالشعر العربى، وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً.

(ب) ترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً ومادياً، والدفاع عن صوالحهم وكرامتهم.

ويقول فى المادة ٤ متحدثاً عن عضوية الجمعية :

عضوية الجمعية مفتوحة للشعراء خاصة، وللأدباء ومحبى الأدب عامة.

وفى المادة ٥ يتحدث عن مجلس الجمعية، فيقول :

(ا) يتألف المجلس من خمسة عشر عضواً، وهم الرئيس ونائباه والسكرتير الدائم، ومن الخمسة الأول من أعضائه الأصليين، ومن ستة آخرين لإتمام العدد القانونى، وهؤلاء ينتخبهم المجلس سنوياً، مع العناية الخاصة بتمثيل البيئات الشعرية المختلفة.

(ب) فى حالة الوفاة أو الاستعفاء يحل أقدم الأعضاء المنتخبين محل الأصليين ويكمل المجلس العدد القانونى بالانتخاب من بين أعضاء الجمعية فى أول جلسة للمجلس .

(ج) تتألف من بين أعضاء المجلس لجنة تنفيذية ، قوامها الرئيس والسكرتير الدائم ، وثلاثة أعضاء يختارهم المجلس . ومهمتها تنفيذ قرارات المجلس ، وإعداد المباحث والمشروعات لدراسته .

وفى المادة ٦ ، وهى عن الرئيس ونائبيه والسكرتير — يقول الدستور :

(ا) ينتخب المجلس سنوياً من بين أعضاء الجمعية رئيساً له ، ويجوز إعادة انتخابه .

(ب) ينتخب المجلس سنوياً نائبين للرئيس ، ويجوز إعادة انتخابهما .

(ج) يتولى رئيس تحرير مجلة أبوللو ومؤسس هذه الجمعية (أحمد زكى أبوشادى) سكرتاريتها بصفة دائمة .

والمادة ٧ ، وهى عن لسان حال الجمعية — تقول :

تعتبر مجلة أبوللو لسان حال الجمعية .

وبعد صدور العدد الأول من مجلة أبوللو — اجتمع الشعراء فى كرمة ابن هانىء يوم ١٠ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ برئاسة أحمد شوقى ، وكان ذلك أول اجتماع لجمعية أبوللو .

وبعد هذا الاجتماع بأربعة أيام أى فى ١٤ من أكتوبر — توفى شوقى . وفى ٢٣ من أكتوبر اجتمع المجلس للمرة الثانية ، وقرر :

(ا) انتخاب خليل مطران رئيساً للجمعية ، والدكتور على العنانى وكيلا لها .

٢ — انتخاب إسماعيل سرى الدهشان (شاعرنا) عضواً بالمجلس فى المحل الشاغر .

وفي ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٣٢ أجريت الانتخابات ، وأسفرت عن تأليف مجلس إدارة الجمعية على الوجه التالي :

الرئيس : خليل مطران ، والوكيلان : أحمد محرم وإبراهيم ناجي ، والسكرتير أحمد زكي أبو شادي ، والأعضاء : أحمد الشايب ، ومحمود أبو الوفا ، وحسن كامل الصيرفي ، وسيد إبراهيم ، وإسماعيل سري الدهشان (شاعرنا) ، ومحمد الهلباوي وزكي مبارك ، والآنسة جميلة العلايلي ، ومختار الوكيل ، وصالح جودت ، ورمزي مفتاح .

وقد روعي في انتخاب أعضاء المجلس تمثيل الشيوخ والشباب من الشعراء واختير للجنة التنفيذية للجمعية : إسماعيل سري الدهشان (شاعرنا) ، ومحمود أبو الوفا وحسن كامل الصيرفي ، مع الرئيس والسكرتير .

وهكذا نرى أن الدهشان قد ارتبط بجماعة أبولو ارتباطا قويا ، بل شارك في إدارتها في مجلس الجمعية الثاني الذي شكل في ٢٢ من أكتوبر ١٩٣٢ عقب مجلسها الأول الذي كان مشكلا في ١٠ من أكتوبر ١٩٣٢ ثم توفي رئيسه أحمد شوقي بعد تشكيله بأربعة أيام ، فشكل المجلس الثاني برئاسة خليل مطران .

ثم حين أجريت الانتخابات في ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٣٣ لتشكيل مجلس إدارة جديدة ، انتخب شاعرنا الدهشان في هذا المجلس أيضاً ، ثم اختير شاعرنا الدهشان من بين أعضاء المجلس ليكون عضو اللجنة التنفيذية ، تقديراً لجهوده ودوره في خدمة الجمعية وإمكاناته لتحقيق أهدافها وتنفيذ قرارات المجلس ، وإعداد المباحث والمشروعات (كما ورد في دستور الجمعية عن مهمة اللجنة التنفيذية) .

ولأن إسماعيل سرى الدهشان كان شاعراً مجيداً ، وكانت مكانته بين شعراء أبوللو محفوظة وملحوظة ـ كما يتبين من انتخابه فى مجلس الجمعية ، ومن اختياره فى لجنتها التنفيذية فتحت أمامه صفحات مجلة أبوللو لينشر فيها ما يشاء من قصائد شعره .

وقد نشر شاعرنا القصائد التالية فى مجلة أبوللو :

فى المجلد الأول من المجلة نشر : ليالى الفريد دى موسيه ص ١٧٨ ، ما صنعت الآن فيها ص ٢٢١ ، خلف الغلالة ص ٢٤٧ ، الفرفور والنحلة ص ٢٥٧ ، الصائدة المتجردة ص ٥٧٨ ، الانتظار بين اليأس والأمل ص ٦٥٧ ، الوصايا الصحية ص ٦٧٦، من مشرقيات فكتور هوجو ص ٨٨٤، جولة الشاعر ص ١٩٠ فوائد القصص ـ مترجمة ص ١١٩٢ .

وفى المجلد الثانى من المجلة نشر :

خواطر شتى ص ١٣٤ ، حياة الخلود ص ١٨٤ ، غداً ص ٣٢٢ .

امتداد تيار أبوللو

وقيام جماعة أبوللو الجديدة

إذا كان نور الفن لايخبو وناره لاتنطفىء ، فإن نور أبوللو لم يخب كذلك ونارها لم تنطفىء ، لأن محبى الرومانسية لا يموتون ، ولكن يتجددون دائماً فى كل الأجيال وكل الأعصر وعلى مدى الحياة والناس ، إذ الإنسان لا يحيى بغير العاطفة ، والعاطفة جزء لا يتجزأ منه .

ومن أجل إذكاء العاطفة الشعرية للإنسان المصرى الجديد ، ولوجود بقية صالحة من جماعة أبوللو القديمة من أمثال الشعراء : الدكتور مختار الوكيل والدكتور

محمد عبد المنعم خفاجى وعامر بحيرى وعبد اللطيف السحرتى وحسن كامل الصيرفى ومصطفى عبد الرحمن ، ولكثرة المعجبين من الشعراء الجدد بمدرسة أبوللو وفى طليعتهم الشاعر الدكتور عبد العزيز شرف ـ أريد أن يتجدد العهد مع أبوللو ـ بعد أن تغيرت أحوال البلاد فى مصر والعالم العربى، وتفرق جمع الشعراء ، فنودى بقيام جماعة أبوللو الجديدة فى مناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لرحيل رائد جماعة أبوللو السابقة الشاعر أحمد زكى أبو شادى ، برئاسة الدكتور مختار الوكيل .

وقد اجتمعت الهيئة التأسيسية للجماعة الجديدة فى دار رابطة الأدب العربى الحديث، ووافقت على القانون الأساسى للجماعة ، وتكونت هيئة المكتب التنفيذى لها على النحو الآتى :

المكتب التنفيذى لجماعة أبوللو الجديدة(١)
وأهداف الجماعة

شكل المكتب التنفيذى لجماعة أبوللو الجديدة من :

الدكتور مختار الوكيل رئيسا .

الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى، وعامر محمد بحيرى ، ومصطفى عبد اللطيف السحرتى ، وحسن كامل الصيرفى ـ نوابا للرئيس .

مصطفى عبد الرحمن ـ أمينا للصندوق .

وقد أذاع الدكتور عبد العزيز شرف بيان قيام جماعة أبوللو الجديدة وأهدافها . وقد جاء فى البيان ما يلى :

(١) نشرت بجريدة الأخبار الصادرة فى ١٦/٤/١٩٨٠ ص ٩ .

يعلن الأعضاء المجتمعون عزمهم على تأسيس جماعة أدبيـــة باسم (جماعة أبوللو الجديدة) على أن يكون مقرها الرئيسى القاهرة ويكون من أهدافها :

١ ـ ربط حركة التجديد فى الشعر بمفهوم الأصالة والمعاصرة بحيث نصون تراثنا القديم وننطلق مجددين إلى مشارف المستقبل .

٢ ـ العمل على تعميق ثقافة الشاعر المعاصر بحيث تمتد إلى الثقافات العالمية قديمها وحديثها حتى يتمكن الشاعر من الاطلاع على مختلف تيارات ومدارس الشعر العالمية .

وأن يتخذ شعراء العرب لأنفسهم طريقا مستقلا بين هذه التيـارات يعـبر عن شخصيتهم العربية الأصيلة ويعبر عن مستقبل مشرق .

٣ ـ العمل من أجل تبادل الثقافات وترجمتها، والاتصال بمختلف بلاد العالم.

٤ ـ الدعوة إلى الرومانسية الجديدة التى تجمع شعراء العـرب جميعا على الاحتفاظ بالأصول والتجديد فيها والإضافة إليها مع استشراف المستقبل .

٥ ـ تحقيق التبادل الثقافى والفكرى بين شعراء مصر والعالم العربى وشعراء العالم على اختلاف بلدانهم .

٦ ـ تشجيع الشعراء أدبيـــا وماديا ، والعمل على نشر إنتاجهم بمختلف الوسائل .

٧ ـ تشجيع الموهوبين من شعراء الشباب وفتح الطرق أمامهم ومساعدتهم على إثراء الحركة الأدبية والشعرية .

٨ ـ تشجيع حركة النقد الأدبى بوجه عام ، ونقد الشعر بوجه خاص حتى تتم المواكبة بين الإبداع الشعرى والنقد الأدبى .

٩ ـ ربط حركة الشعر والنقد بوسائل الإعلام المختلفة .

١٠ - إصدار مجلة متخصصة للشعر باسم « مجلة أبوللو الجديدة » تعيد للحياة وجهها الناصع مهمواصلة سهر أختها «مجلة أبوللو» الأولى التى أصدرها الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

وقد وافق المجتمعون على تأسيس الجماعة وعلى هذه الأهداف .

والحق أن جماعة أبوللو الجديدة لم تصادف نجاحاً قدر ما صادفت أبوللو القديمة ، وما ذاك إلا لأن ظروف الحياة قد تغيرت ، وإقبال الناس على الشعر قد ضعف ، فعسى الله أن يهيىء للناس حياة أفضل ، وللشعر مجالا أوسع ، فتطيب الحياة مع الشعر ، ويزدهر الشعر بالحياة .

في الاحتفال بالذكرى المئوية لمولد الدهشان :

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى الذكرى المئوية لمولد الدهشان والرابعة والثلاثين لوفاته ، المنعقد فى مدينة سمنود فى ٦ من فبراير ١٩٨٤ ، بعد أن رفع إلى حشود الحفل بمناسبة هـذه الذكرى تحيات الهيئات الأدبية فى مصر : أبوللو الجديدة، ورابطة الأدب الحديث، واتحاد الجمعيات الأدبية ، ونادى القصيد، وندوة شعراء العروبة ، وندوة شعراء الإسلام - يقول الأستاذ الجليل عن دور مدرسة أبوللو فى الأدب ، ودور الدهشان فى مدرسة أبوللو :

لقد عاش إسماعيل سرى الدهشان فى عصر النضال ضد الاستعمار ، وأسهم بجهد كبير مع كل العاملين فى ميدان النضال بشعره وروائعه، أدى واجبه كإنسان، ورسالته كشاعر ، وأمانته كمفكر يحمل علم الكفاح من أجل مصر الخالدة .

وفى الخمسين من عمره قامت جماعة أبوللو للشعر . أسسها المرحوم الدكتور أبو شادى فى القاهرة ، وضمت صفوة من شعراء مصر شباباً وشيوخاً ، من شوقى أمير الشعراء إلى كل الشعراء من مختلف الأجيال ، جيل شوقى وحافظ ومطران.

وجيل محرم وناجى وعلى محمود طه ومختار الوكيل وصالح جودت والدهشان، وجيل الشباب الذين يلون هذا الجيل، وكلهم قد عملوا فى أروقة جماعة أبوللو الشعرية التى رفعت علم الشعر والتجديد عالياً خفاقاً فى سماء مصر والعروبة وفى كل مكان من العالم حتى لقد انضم إليها لفيف من المستشرقين من اليونان وفرنسا وانجلترا ويوغوسلافيا والمجر ورومانيا .

لقد ضمت أبوللو ثلاثة محاور للشعر : المحور الأول كان هو الشعراء الذين تلقوا الثقافة العربية والثقافة الفرنسية ، واتصلوا بالأدب الفرنسى اتصالا وثيقاً ، ومن بين هؤلاء مطران، والدكتور مختار الوكيل، وشاعرنا الكبير إسماعيل سرى الدهشان . . وقد أدى هذا المحور فى أبوللو طيلة خمسين عاماً واجبه ، فنقل واقع الأدب الفرنسى إلى الأدب العربى ، وكان حلقة اتصال بين الأدباء والشعراء فى فرنسا والأدباء والشعراء فى مصر .

ثم كان المحور الثانى ، وهم الشعراء الذين اتصلوا بالأدب الانجليزى ، وفى مقدمتهم أبو شادى ، وكان — رحمه الله — قد تلقى تعليمه فى الطب فى جامعات انجلترا ، وعاد عام ١٩٢٢ للبلاد ليعمل فى مجال الطب ومجال الشعر معاً ، ومنهم إبراهيم ناجى الذى كانت ثقافته بالانجليزية ثقافة واسعة ، وترجم من الشعر الانجليزى روائع كثيرة .

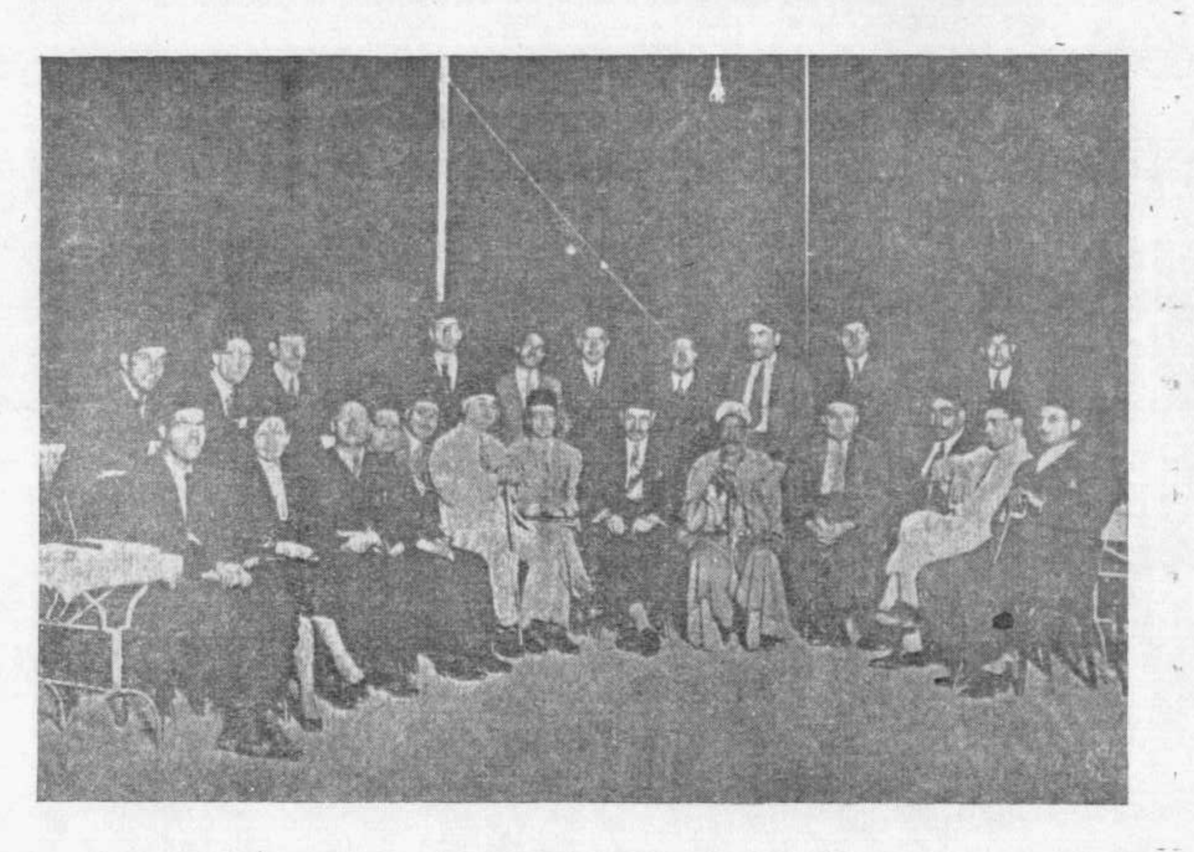
ثم كان المحور الثالث من شعراء أبوللو . . وهو الذى عاش فى نطاق الثقافة العربية الأصيلة ، ولكنه يحمل فكر التجديد ويدعو إليه بكل أعماقه ، وكان يتصل كذلك بزعماء مدرسة البعث والإحياء اتصالا وثيقاً ، ومن بين هؤلاء محمود غنيم ومحمد مصطفى الماحى ولفيف كبير من الشعراء عملوا فى نطاق جماعة أبوللو واتصلوا بها اتصالا وثيقاً ونشروا شعرهم على صفحات مجلتها العتيدة .

ولقد تألق نجم الدهشان فى أبوللو ، وكان شعره يلقى كل اهتمام وعناية من الجماعة ، حتى لقد كانت مجلة أبوللو تنشر له فى العدد الواحد ثلاث أو أربع قصائد ، ما بين قصائد مترجمة من الفرنسية وقصائد أصيلة يكتبها فى مختلف نوازع الوجدان ، وكان شعـــره يقرأ فى كل مكان ، ويلقى كل اهتمام وتقدير وإعجاب .

لاننسى أن تيار أبوللو كان هو التيار الرومانسى المتأثر بالرومانسية الفرنسية والرومانسية الانجليزية ، وكان يحمل بطبيعته النزعة الذاتية الوجدانية فى الشعر ، ويحمل كذلك بطبيعته نزعة الإحساس بالحيـاة المصرية فى أعماقها : الحياة مع الطبيعة ، الحياة مع الحرمان والألم والقلق والحب والحزن ، والإحساس بآلام الطبقات الـكادحة . .

وكان شعر الدهشان كذلك يجمع بين الأصالة والتجديد، بين الـكلاسيكية والرومانسية ، بين الذاتية والاجتماعية والواقعية . . كان يكتب عن الطبيعة وجمالها ، وعن حياته ومشاعره وحبه وكل نزعات نفسه . لقد عاش الدهشان شاعراً بأعماق نفسه وأحاسيسه وأدى واجبه ، وكتب دواوين كثيرة ، وترجم الـكثير من روائع الفرنسية ، ولا يزال شعره مخطوطاً لم يطبع منه غير مجموعة صغيرة تحمل اسم « بين الجد والجهد » .

فالدهشان أحد أعلام الشعر المعاصر ، وهو لايقل عن زملائه فى نهضة الشعر وفى حركته اليوم وقبل اليوم .



نشرت فى عدد أبوللو ديسمبر ١٩٣٣ م ص ٣٣٩ ، وبها صفوة من شعراء أبوللو .
ويتوسطها فى صف الجالسين الدهشان وعن يساره الشيخ عبد العزيز البشرى فأبو شادى
ثم أبو الوفا ، وتضم الصورة مختار الوكيل وناجى والصيرفى والسحرتى وصالح جودت وزكى مبارك



الفصل الرابع

شعر الدهشان وخصائصه

نستطيع أن نقسم شعر الدهشان إلى قسمين متميزين، وإن كانا غير متساويين، لأن القسم الأول مستأثر بغالبيـــة شعره ، وهو ما عدا المترجم منه . والقسم الثانى وإن كان كثيرا فى ذاته إلا أنه بالنسبة إلى القسم الأول قليل ، وهو الشعر المترجم عن الفرنسية. والقسم الأول هو الذى يمكن أن ندخل الدهشان به فى مدرسته الحقيقية ، وهى مدرسة البعث البيانية المحافظة على عمود الشعر العربى، لأنه استوفى خصائص هذه المدرسة .

فالدهشان يدخل أبوللو وينتسب إليها بوسيلتين :

الأولى ـ أن أبوللو سمحت لكل الاتجاهات الشعرية بدخولها ، فسمحت بالدخول لمدرسة البعث، كما سمحت لمدرسة الديوان، بالإضافة إلى من يمثلون مدرستها من شباب الشعراء .

والثانية ـ أن شاعرنا كان مثقفا ثقافة فرنسية جيدة، ربطته بالتراث الفرنسى، ومكنته ـ لإلمامه الجيد باللغتين العربية والفرنسية ـ من ترجمة روائع الشعر الفرنسى إلى اللغة العربية شعرا ، وكانت مدرسة أبوللو تقوم ـ فيما تقوم ـ على الاستفادة من الأدب الغربى ، الفرنسى منه والإنجليزى ، فكان الدهشان فى ذلك دعامة من الدعامات التى اعتمدت عليها أبوللو فى شعرها الجديد .

إن إسماعيل صبرى الدهشان ليعتبر الأب الروحى ـ كشوقى ومطران وأبى شادى ـ لشعراء أبوللو وكلهم من الشبان ، لأن نظرة سريعة إلى أعمار الشعراء المعاصرين للدهشان آنذاك وحين ولدت مجلة أبوللو عام ١٩٣٢ ـ يتبين لنا منها كيف أن

الدهشان ينتمى إلى جيل شعراء البعث أكثر مما ينتمى إلى جيل شعراء أبوللو .

فشاعرنا ولد عام ١٨٨٤ فكان عمره آنذاك ٤٨ عاما

وأبو شادى ولد عام ١٨٩٢ فكان عمره ٤٠ عاما

وإبراهيم ناجى ولد عام ١٨٩٨ فكان عمره ٣٤ عاما

وعلى محمود طه ولد عام ١٩٠٢ فكان عمره ٣٠ عاما

والهمشرى والصيرفى ولدا عام ١٩٠٨ فكان عمرها ٢٤ عاما

وصالح جودت ولد عام ١٩١٢ فكان عمره ٢٠ عاما

والدكتور عبد المنعم خفاجى ولد عام ١٩١٥ فكان عمره ١٧ عاما

وهكذا كان الدكتور مختار الوكيل وأبو القاسم الشابى صغيرى السن كغيرهما من شباب هذه المدرسة وعمدها ، بل إن بعض شعراء المدارس الأخرى كانوا أقل سنا من الدهشان ، ولم يلحقوا بمدرسة أبوللو ، لأن لهم مذهبا مخالفا ، فالعقاد رائد مدرسة الديوان كان عمره آنذاك ٤٣ عاما إذ ولد عام ١٨٨٩ ، وزميله عبد الرحمن شكرى كان عمره ٤٦ عاما ، فقد ولد عام ١٨٨٦ وزميلهما عبد القادر المازنى كان عمره ٤٢ عاما ، فقد ولد عام ١٨٩٠ ، بل إن عزيز أباظة خليفة شوقى فى مدرسة البعث كان عمره ٣٤ عاما ، فقد ولد عام ١٨٩٨ ، وعلى الجندى ومحمد الأسمر ومحمود غنيم وكلهم من مدرسة البعث كانوا أقل منه سنا بكثير ، فالجندى كان عمره ٣٤ عاما ، لأنه ولد عام ١٩٠٠ ، وغنيم كان عمره ٣٠ عاما ، لأنه ولد عام ١٩٠٢ .

وهكذا نجد أن شعراء مدرسة أبوللو الذين تتمثل فيهم خصائصها كانوا جميعا أقل عمرا من شاعرنا الدهشان بكثير ، بل إن الكثيرين من رواد وشعراء مدرستى الديوان والبعث كانوا كذلك أقل عمرا منه ، ولكن هذا لم يمنع من اشتراكهم بنشر أشعارهم فى مجلة أبوللو ، على أنه من المهم التنبيه بأن انتساب الدهشان إلى

مدرسة البعث لا يقلل من قيمته الشعرية ، فالمدارس الشعرية كلها متواصلة ، ولكل منها رسالة أدتها وتؤديها ، ولا غنى عنها جميعها في أي زمان ، غير أن الحاجة وظروف الحياة قد تقتضي ظهور وغلبة مدرسة ما ، وتبقى إلى جوارها مع ذلك المدارس الأخرى بممثليها ، ثم تدور الحياة دورتها وتتغير الظروف ، وإذا بالمدرسة الشعرية السائدة تمسي مسودة وتحل غيرها محلها .. وهكذا .

ولا شك أن الدهشان بشعره البياني المحافظ قد أدى دوره ، فقد كان هو المناسب لمرحلة النضال الوطني الذي شهده ، والحياة الاجتماعية التي عاشها .

على أن الدهشان قام بترجمات رائعة لعيون الشعر الفرنسي من كبار الشعراء الفرنسيين الرومانسيين من أمثال فيكتور هوجو وسانت بيف وأدمون روستان وبودلير وجان لاهور ومدام مارسيلين دسبور فالمور وبول بوجيه وهنري دي رينيه وجان ريشيبين وفرانسوا كوبيه ومدام رزموند روستان ولامارتين وكلوفيس هوجس .

وقد نظم الدهشان هذه الروائع الفرنسية شعرا عربيا في وقت مبكر ، لأن كثيرا منها نشر في الجزء الثاني من ديوانه المطبوع عام ١٩٢٤ فتأثر بها في شعره وتأثر الشعراء الشبان الذين أقاموا صرح مدرسة أبولو بهذه الترجمات ، ولذلك كان للدهشان الحق بشعره البياني الأصيل وشعره الرومانسي المترجم أن يكون له مكان في جماعة أبولو ، لا عضوا عاديا كسائر أعضائها ، بل عضو مجلس إدارة جمعيتها ، بل عضو اللجنة التنفيذية بها .

ولهذا فلعله يحق لنا أن نقسم شعر الدهشان إلى قسمين :

١ ـ شعر بعثي بياني ، ويتمثل في كل ما أنتجه الدهشان من الشعر قبل أبولو

وبعدها من عمله هو أساساً ، ويشمل ذلك ما نظمه فى المناسبات من المدح والرثاء والتهانى، ومن شعر الحكمة والغزل والتصوف و الوصف .

٢ ـ شعر أبوللى رومانسى ، ويتمثل فى كل ما ترجمه الدهشان من الشعر الفرنسى قبل أبوللو وبعدها .

شعر الدهشان البيانى

ونقصد به كل شعره ما عدا المترجم منه

ولم يطبع للدهشان شعر غير ديوانه الذى طبع فى حياته عام ١٩٢٤ وهو من جزأين ليس فى أيدينا أو فى دار الكتب المصرية أو عند أحفاده سوى الجزء الثانى منه ، وغير مجموعة من شعره اختارها وقدمها الشاعر البيانى عامر محمد بحيرى وأخرجتها هيئة الكتاب فى كتاب سمى باسم قصيدة عاطفية للدهشان وهى : « بين الجد والجيد » .

وفى صدر ديوان الدهشان ـ الجزء الثانى يقول الدهشان تحت عنوان « إلى القارئين » :

« لا تحكموا على الشاعر بما يعجبكم أو بما لا يعجبكم من شعره ، فإنه يقول طبعاً خيرا مما يقول متكلفاً ، إذن اقرأوا كل ما قال لتستخلصوا حكما عليه أوله أقرب إلى الحق . وإذا رأيتم له ما يملك قلوبكم ويهز عواطفكم فى قطعة ما ، فثقوا أنه لو كان فى كل ما قال فى مثل الظرف الحسن الذى أخرج فيه القطعة لكان كل قوله حسناً ممتعاً » ، فكأنه يرى أن بعض شعره جيد ، وبعضه دون المستوى ، وهكذا كل شاعر فعلا .

ويشتمل هذا الديوان على ثمانية أقسام : الإسكندريات ، والوفديات ، والمودعات والمهنئات ، والأخلاقيات والنفسيات ، والوصفيات ، والغزليات ، والمعربات ، وفى الرثاء .

وشعر الديوان ـ على وجه الإجمال ـ شعر رصين فيه جلال الصياغة وروعة البيان، ومحافظة على التقاليد العربية المتصلة بنهج القصيدة وأسلوب الشعر ومعانيه وصوره ، مع شيء من المحسنات البديعية التى يطرز بها الكلام ويجمل بها الشعر.

وشعر المناسبات فى الديوان لا نعدم فيه إحساساً صادقاً للشاعر مرده إلى أنه يصدر فيه عن عاطفة ، ووفاء منه لحق من كانوا أصحاب فضل عليه ، وبخاصة الأمير عمر طوسون (١٨٧٢ ـ ١٩٤٤ م) الذى ساعد شاعرنا على الظهور وواساه فى الملمات ، وكان فى الوقت نفسه وطنيا يؤازر الحركة الوطنية ومفكرا ومؤلفاً كما كان أميرا شعبيا محبوباً ، ويحب الأدب ويقرب أهله ويتحلى بخلق رضىٍّ رفيع[1] .

ولعلنا إذا نحن اقتطفنا نماذج قليلة من شعر شاعرنا المطبوع والمنشور نستطيع به أن نعطى صورة حية عن هذا اللون من شعره كما وصفناه .

من شعر المناسبات

يقول الدهشان مهنئاً عمر طوسون بعيد الأضحى سنة ١٣٣٩ هـ[2] .

يا أميرى لك منى فى النــدى كل حين دعوات طيبــات
يا مثال الجود نلت المنتهى فمضت أعمالكم فى الخالدات

---

(١) راجع ترجمته فى معجم المؤلفين لعمر كحالة ـ المجلد الرابع ـ الجزء السابع ص ٣١١ والأعلام للزركلى ـ الجزء الخامس ط ٣ ص ٢٠٧ .

(٢) ديوان الدهشان ج ٢ ص ٤ .

يا رعى الله سفينا ذهبت   ذهبت نفسى عليها حسرات
كنت فى الثغر أراكم فأرى   من أباهى فيه بدر السموات
وقضى الله ببعدى فجرت   أدمعى أسفحها بالعشرات
لكم البشرى فمن أعمالكم   زاكيات باقيات صالحات

ولاحظ الجناس التام فى البيت الثالث ، ومصرية التعبير فى « أسفحها بالعشرات » ، والاقتباس فى البيت الأخير .

ويقول فى نادى موظفى الحكومة بالإسكندرية[1] :

عليك ألف سلام أيها النادى   أنت الفرات وإنى ذلك الصادى
خلقت للود أبديه وأخلصه   حتى ولو منع الإخلاص أندادى
يا نادىَ الفضل كم شكر شرفت به   من رائح حامد جدواك أو غادى

ولاحظ الطباق فى البيتين الأول والثالث ، والمقابلة فى البيت الثانى .

وأرسل إلى الأمير عمر طوسون بعد نقله إلى الصعيد سنة ١٩١٨[2] :

وما شاقنى بالثغر غيد وإنما   أردت أرى وجها يشاكله البدر
فلله أيام تحلبت ضرعها   يحيط بى الوفران جودك والبحر
فإن غبت عنى فالفؤاد رهينكم   وإن بت عنكم صامتا نطق الشعر

وفى هذه الأبيات محاكاة واضحة لأسلوب الشعر البيانى القديم :

وأبر الخلق عطفا وندى   ما سوى الشكر غدا ملك اليمين
بركم بى فوق حتى عندكم   وعلى الدهر بهذا أستعين
ضرب الله نطاقا من أذى   وأنا فى أسره ذاك السجين

(١) ديوان الدهشان ج ٢ ص ٥ .   (٢) المصدر السابق ص ٩ وما بعدها .

وقال شاكراً عمر طوسون على مواساته الأدبية والمادية له فى مرض ابنه سنة ١٩٢١[1] :

يا أرق الناس قلبا فى الأسى ومواساة الكرام البائسين

وكتب إليه رداً على تعزيته له فى وفاة ابنه[2] :

قد كنت فى كنف الأمير وظله والدهر لم يسدد على طريقى
حتى بعدت فنالت الأرزاء من قدرى كأنى مصحف الزنديق
ورزئت فى ولدى وكان بجانبى تزرى محبته بألف صديق
لو كنت أعلم أن فى بعدى أذى أودى بآمالى وجاء بضيق
لحييت فى باب الأمير ممتعاً نظارى بطلعة يوسف الصديق

ولاحظ سلاسة التعبير ومصريته وبخاصة فى البيت الأول والثالث، والتشبيه فى البيت الثانى، والاستعارة فى الأخير، وفيهما رمزان لتاريخ قديم.

وقال مرحباً بسعد زغلول رئيس الوفد المصرى سنة ١٩٢١[3] :

يا سعد أقبل إن مصرك تشهد ما لم تشاهد طيء أو معبد
وانظر ذويك وكلهم عطشى المنى صدروا إليك وأنت نعم المورد
قد أوفدوك ومن صحبت لمطلب سام، فكنت هناك نعم الموفد
وقطعت أشواط الجهاد بعيدة غاياتها، وسخرت ممن هددوا

وحين وقع الخلاف بين الوزارة العدلية والوفد فى أبريل سنة ١٩٢١ أنشد[4] :

(١) ديوان الدهشان ج ٢ ص ٦ . (٢) المصدر السابق ص ١٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١١ . (٤) المصدر السابق ص٣ وما بعدها .

رجوعاً للوئام وأى ظرف   يطيب به سوى اليوم الوئام

أتنجب مثلكم أم كمصر   وعند بلوغها النعمى تضام

إذن يجب الوفاق إذا رشدتم   كما تجب الصلاة أو الصيام

وفى القصيدة روح شوقى الذى قال فى مثل هذه المناسبة :

إلام الخلف بينكمو إلاما   وفيم الضجة الكبرى علاما؟!

وفيم يكيد بعضكمو لبعض   وتبدون العداوة والخصاما؟!

وفى هذا المعنى يقول الدهشان من قصيدة أخرى[1] :

أخى فى الدين و الوطن المفدى   لقد دهمت أخوّتنا الشرور

فقلبت السياسة كل قلب   وبتنا تستبــد بنا الأمور

تريد حكومة و أريد أخرى   ترى هل نابنا خطل وزور ؟

قد انتفع الدخيل بكل خلف   فحتام التخالف والغرور ؟

لنا فى ملكنا الأكواخ سكنى   وللغير المعاقل والقصــــور

وما لم نحم فى الجلى حمانا   فأين بربك الشعب الغيور ؟

ويقول مهنئاً محمد بك الغريانى لانتخابه رئيساً لنادى موظفى الحكومة بالاسكندرية سنة ١٩٢٢[2] :

بشرى الرئاسة أطلقت كلماتى   فتألقت تزهو على الصفحات

لو جاز إسداء الصلاة لحارث   لأقمت فيك سوادس الصلوات

ولو أن أسواق الحجاز مقامة   لتزوجت بالمدح فيك بناتى

وفى البيتين الأخيرين حسن استخدام لمصطلحات علمية وقصص تاريخية .

---

(١) بين الجد والجيد ص٨٨ .   (٢) المصدر السابق ص ١٢ .

وقال من قصيدة عن سعد زغلول فى منفاه حاثاً الشعب على الكفاح فى سبيل الحرية و الاستقلال[1] :

لا عتب نبديه لأعدائنا فهم عن الطغيان لن يعدلوا
ياخجلة الأبناء من بعدنا أليس منا رجل يعقل ؟

وقال فى اجتماع لجنة الوفد المركزية بدار مصطفى النحـــاس وهو منفى عام ١٩٢٣[2] :

يا زائرى دار مصطفاكم لم ينسكم ذا الوجوب بُعد
عسى الذى يوسف ابتلاه ورده ـ مصطـفى يرد
وما ارتضى الحر ذل عيش ولا ارتأى العدل مستبد
فى حب أوطانه تفانى كأنما عزمه الفِرند[3]

وفى البيت الثانى إشارة إلى قصة يوسف وعودته إلى أبيه بعد يأس من عودته وفى البيت الثالث مقابلة حسنة ، وفى البيت الأخير تشبيه قديم معروف .

وقال فى بيت الأمة بمصر يوم وصول أبطال سيشـل مهنئاً سنة ١٩٢٣ من قصيدة طويلة[4] :

أبطال سيشـل أدركوا غلباً بلا كر وفر
صبروا على ورد الأذى حتى أتى فرج الصـدر
وأتم سعد صرح هذا الحـب للوطـــن الأبـر
لا نـترك النيـــل الذى من عين فيكتوريا انحدر
يجرى على خـــد الثرى حتى المحيط على قدر[5]

(١) ديوان الدهشان ج ٢ ص ١٤ .
(٢) المصدر السابق ص١٧ .
(٣) الفرند : السيف .
(٤) المصدر السابق ص٢٠.
(٥) يقصد بالمحيط : البحر الأبيض المتوسط، لأنه الذى يصب فيه النيل ، على وجه التشبيه.

وفى الأبيات بعض ألوان البديع والبيان على عادة شعراء مدرسة البيان كالطباق فى البيت الأول والمقابلة فى الثانى والتشبيه فى الثالث والاستعارة فى الرابع ، وقد اقتبس الشاعر أسلوب البيت الأخير من قوله تعالى : « ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسى »[1] .

ويقول من قصيدة يوم وصول سعد زغلول بعد فك اعتقاله سنة ١٩٢٣[2] :

لقد جاء سعد وألقى العصا ... فخف إليه ألوف الألوف

والدهشان قد أخذ الشطر الأول من هذا البيت من البيت القديم الذى يجرى مجرى الأمثال ، وهو :

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السحر والساحر

وقال فى زيارة مصطفى النحاس يوم ٢٩ فبراير سنة ١٩٢٤ لنادى سمنود وقد كان النحاس رئيس شرف له وكان الدهشان وكيله داعياً أن يسود البلاد الوئام بسعد وصحابته[3] :

يا خير من رفعته مصر راضية ... إلى الوزارة عن حق وتأهيـل

ثم يقول :

فالسعد يرقب من سعد ورفقته ... كالوحى يرقب من آيات جبريل

تآلف الشعب فى أيام محنته ... لا فرق ما بين قرآن وإنجيل

ومن قصيدة فى تهنئة سعد بنجاته من محاولة اغتياله فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٢٤ يقول[4] :

---

(١) سورة طه : ٤١ (٢) ديوان الدهشان جـ٢ ص٢٤
(٣) المصدر السابق ص٣١ وما بعدها . (٤) المصدر السابق ص٣٦

يا ضاربا بدر البـــلاد سفاهة   ماذا يفيد الضرب فى الأقمار؟!
أتريد تقتل أمة فى واحـــد   والله حافظــه من الأخطار؟!
يا سعد دمت لمصر ترفعها إلى   ما شئت من مجد لها وفخار

وهكذا قصائد كثيرة طويلة وقصيرة ، فى مدح وتهنئة واستقبال وتوديع ، تــكاد تبلغ نصف الديوان المطبوع يظهر فيها أن الدهشان يحاكى القدماء فى شعرهم ويرتبط فى نظمه بمدرسة البعث ، ولعل مما يمــكن أن يضاف إلى شعر المناسبات السابق – شعره فى الرثاء المنشور بالديوان فى آخر أبوابه ، وهو قليل ، لأنه ثلاث قصائد فى خمس صفحات .

يقول الدهشان فى رثاء بكر أولاده « حسين » ، وقد مات فى السابعة عشرة من عمره بعد حصوله على البكالوريا سنة ١٩٢٣ وهى قصيدة حزينة باكية[1] :

كم مرتج أمـــلا يعطى به ألما   والمرء يجهل حكم الواحـــد الأحد
قد كنت أضحك من لاشىء فى سهرى   فبت أسهر فى لا شىء من كمدى

ثم يخاطب ابنه :

سامح أباك إذا جفت مدامعه   فقد تحـــير بين الدمع والجلد
ذكراك فى يقظتى ذكراك فى سِنتى   ذكراك فى منطقى ذكراك فى كبدى
من لى بأيامك الزهراء ترجع لى   يا ليت أمك لم تحمل ولم تلد ! !

وفى رثاء شوقى سنة ٩٣٢ يقول الدهشان[2] :

طوى الردى شاعر الندى   فالشرق فى مأتم عليه
شوقى قضى له الزمان باق   يشـــير فى صمته إليه

---

(١) ديوان الدهشان ج٢ ص١٠٧ وما بعدها .
(٢) بين الجد والجد ص٩٥ وما بعدها .

ثم يقول جامعاً إلى رثائه رثاء حافظ إبراهيم الذى مات قبله :

يا قبر بالشاعرين رحب   سلبت ذا الشرق بلبليه
آمنت بالله مطمئناً   للدين . . أتلو شهادتيه

وفى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٣ بمناسبة مرور العام الأول على وفاة أمير الشعراء ينظم الدهشان قصيدة ، لا يستطيع أن يلقيها لمرضه ، فيلقيها الشاعر صالح جودت نيابة عنه فى حفل نادى الصحافة بالقاهرة وفيها يقول[1] :

عادت كعود المدمن   ينوى السلو ولا يفى
تحنو على فهــــزنى   لعناقها الشوق العريق

ثم يقول متحدثاً عن شوقى :

حييتــــه فتبسمـــا   وسعى إلىّ فسلمـــا
وطلبت أن يتـكلما   ويعيد لى نظم العقيق

قال انقضت لغة الدنى   فالحسن والحسنى ههنا
غير الذى فى كوننا   كنا نصور يا صديق

ولقـــد أقيم ببرزخ   مع حافظ . . خير الأخ
نأسى على الشرق الرخى   ما زال فى رق وضيق

وكما يتجاوب ويتفاعل مع أحداث مصر المؤسفة فى ثورة واهيتاج، يتجاوب ويتفاعل مع أحداثها المبهجة فى فرحة وابتهاج ، فإذا كسبت مصر بطولة عالمية سجلها وحياها بشعره ، كتحيته لأبطال مصر العائدين من أوليمبياد برلين سنة ١٩٣٦ ، وذلك إذ يقول[2] :

---

(١) بين الجد والجيد ص ١٠٠ ومابعدها .   (٢) المصدر السابق ص ١٠٨

أبطال مصر ؟وقف ... بالأمس للتاريخ باق
عودوا لأمكم التى ... فرقت عليكم فى الفراق
وتهش للمذياع إن ... نقل الحديث على اشتياق
فرأت من «التونى» بدر الشرق يظهر فى ائتلاق[1]

والجناس واضح فى البيتين الأولين ، كما أن الاستعارة فى البيت الثالث والتشبيه فى البيت الأخير ظاهران .

من شعر الحكمة :

ومن شعر الحكمة والفلسفة قوله عن الطبيب[2] :

إن كان قد بعث الإله رسوله ... يهدى الأنام لصحة الأديان
فالله قد بعث الطبيب مداويا ... يهدى الأنام لصحة الأبدان

وقوله من قصيدة بعنوان « المستخدم »[3] :

رب رأس أودع الحكمة لم ... يجد التشجيع ـ باليأس اقتنع
تعس العيش الذى أرغمه ... وحياة عذبته تخنع
أين هذا الموقف المحزون من ... طائر فى جوه الحر سجع

ويقول من قصيدة بعنوان « آيات الله »[4] :

تريدون علم الغيب أو كشف سره ... وأنتم من الدنيا ضيوف على سفر ؟
أأنتم على علم بما فى نفوسكم ... وإدراك كنه السر فى السمع والبصر ؟

---

(١) التونى : يقصد به خضر التونى بطل مصر فى حمل الأثقال .
(٢) الديوان ج٢ ص ٦٢ . (٣) المصدر السابق ص٦٧ وما بعدها .
(٤) بين الجد والجد ص ٨٦ .

كفاكم من الله الحياة، وفضله عليكم بأقوات من الحب والثمر
لكم سخر الأجواء والماء والثرى ومن فضله أن سخر الشمس والقمر
وأمسك فيض الماء يطغى على الثرى ولو فاض لا يبقى عليكم ولا يذر

وواضح مدى استفادته من القرآن الكريم واقتباسه ألفاظه فى هذه الأبيات.

ومن قوله تحت عنوان « نفثة مصدور »[1] :

يزرع الحر فى الحقيقة ودا فإذا بالجنى من الود علقم
خاب من يجعل السفيه صديقا ومن انقاد للمذبذب وائتم
إنما تدفع الشرور بشر فى مجال العناد والدم بالدم
فسد الطبع فى الوجود فلا ذوق ولا سمع فى الرجال ولا شم
إن دنيا فيها الذى أنا فيه ترك سكانها أبر وأكرم

والمقابلة ظاهرة فى البيت الأول بين «يزرع والجنى» و«ودا وعلقم»، والتعبير بدفع الشر بالشر فى البيت الثالث مأخوذ من قولهم فى المثل : « الشر بالشر والبادى أظلم » .

من شعر الوصف :

ومن شعر الوصف يقول الدهشان واصفاً المعلم وكده وظلم الحياة له[2] :

يظل العمر بالطلاب يعنى مساء فى الدفاتر أو صباحا
كساقية تمد الزرع رياً ويملأ صوتها الدنيا صياحا
ولو علمت مغبتها لضنت ولادخرت لها الماء القراحا
ألا براً به يا آل مصر إذا شئتم لنشئكم الفلاحا

(١) الديوان جـ ٢ ص ٥٤ وما بعدها . (٢) الديوان جـ ٢ ص ٧٠ .

وقال يصف مدينة بور سعيد ونشاط عمالها[1] :

مدينة ذات حسن أسواقهـا كالموائد
عمالها فى نشـاط فلا ترى غير جاهد
ويلبسون ثيابا على الكفاح تساعد
وكل شيء إليهـا من نعمة الله وارد
غاب التسول فيهـا فـكل شخص يجالد

وقال يصف حبه لسمنود مولده[2] :

أحب سمنـود لا للغنى أصبت ، ولكن لبرى بها
بها قد ولدت ، وفيها شببت وعلى سأدفن فى تربها
وغذيت فيها الهوى والشباب وملأت قلبى من عذبها

وقال فى وصف فتاة الريف[3] :

تراقبها عيـون ساهـرات على الأعراض تعنى بالكرامه
ويكفلها الـكمال فـكل خلق لديها قد تحـدده علامه
فأدنى مذهب الجـد احتشام وأقصى مذهب اللهو ابتسامه

وقال يصف المحروم من الاستمتاع بماله لبخله من قصيدة بعنوان «المحروم»[4] :

كيف أحيا وعندى المال ـ محروما وأمشى ما بين غمـز ولمز
رب شيء إن أحرم النفس منه وهو طوعى ـ يكن نصيب المعزى

(١) بين الجد والجد ص ٣٤ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ص ٤٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٤ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٨ .

وقال يصف جزاء البر بالأهل[1] :

أعيش لأهلى لا أريد ثناءهم جزاء ، وربى شاهد ومجازى
رضا الله عنى لو كسبت حقيقة أأغفل عنه باكتساب مجاز ؟ !

وانظر إلى استخدام مصطلحات البلاغة فى «حقيقة ومجاز» مع الطباق فيهما ومع الجناس فى « مجازى ومجاز » .

ويعلن وهو فى مرضه يأسه من الحياة وطلبه الموت ، فيقول[2] :

يا رب ما دام المصير إلى الردى فائذن به للعبد ما دام استعد
إلا إذا شئت الحيــاة زيادة فى الأجر فامدد ما بدا لك يا صمد

وهذان البيتان يذكرانا ببيتى إسماعيل صبرى المشهورين اللذين قالهما فى مثل حالة الدهشان من اليأس من الشفاء ، وهما :

يا موت ها أنذا فخذ ما أبقت الأيام منى
بينى وبينك خطوة إن تخطها فرجت عنى

ويصف الدهر وكيف أن لذته قد انتهت ولن يعود فى جديده ما يلذ له ، فيقول[3] :

تلوت كتاب الدهر حتى كأننى أرى الأمس أمسى آخر الصفحات
فما من جديد فى الحياة يلذ لى وما من قديم لذ لى هو آت

ويقرر أن الموظف فقير جواد ، والتاجر غنى شحيح ، فيقول :

يقولون الموظف ذو يسار فإن الشح فى رجل التجاره
وهذا لو يجود فمن كفاف وذاك يشح من خوف الخساره

---

(١) بين الجد والجد ص ٥١ . (٢) المصدر السابق ص٥٣ ، ٥٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٩ .

ويندد بزواج الاثنتين . ودعوته إلى رفض هذا الزواج ورفض كثرة النسل - كما سيجيء - هى دعوة تقدمية ، فقد كان الزواج بأكثر من امرأة على عهده أمراً شائعاً سائغاً لأنه يدل على فحولة الرجل بل يدعو إليه ثراؤه وقدرته المادية، كما كانت كثرة الأولاد من أسباب القوة التى تتطلبها الفلاحة وحماية الحقوق .. فيقول[1] :

أيها الناعم بالثروة يقنى ضرتين
لست تلقى فيهما الزوجة لكن عبدتين
أنت إن حدثت إحداهن مرمى بين
يتملقن إذا دام نضار باليدين
وإذا أملقت يوما قلت يا جد الحسين !
لا يرى البيت سلاما طالما يحوى اثنتين

وانظر فى هذه الأبيات رقة التعبير ، مع خفة الدم المصرية والظرف والدعابة .

وفى الحض على تحديد النسل يقول[2] :

ما لم تكن ذا ثروة موفورة　　إياك والسعى الجهيد إلى الخلف
ذو المال إن يمسك على أبنائه　　ودوا له للإرث تعجيل التلف
وإذا أطاع هواهمو ومتاعه　　سيحس نهر المال جف بما نزف

من شعر الغزل :

ومن شعر الغزل يقول من قصيدة طويلة بعنوان « فتاة البداوة »[3] :

يا أولى الهوى والهوى منح
لى بحبكم أغيد جرح

(١) بين الجد والجيد ص ٧٧ وما بعدها .　(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .
(٣) ديوان الدهشان ج ٢ ص ٧٢، ٧٣ .

ثم يقول مخاطباً إياها :

ارحمـــى امرأً للهـــوى جنح
فيك من هوى دمعه سفـــح

ثم بعد أن يتبادل معها الحوار الرقيق ويظن انها قد مالت إليه ، يقول :

ثم فجـــأة طبعها جمـــح
قلت : ما جرى قالت : انكشح[1]
نحن فى القرى عقلنا رجـــح
ذى طبيعـــة ضد من مزح
من مشى على نهجهـــا ربح

وانظر إلى هذا الوزن الرشيق المستحدث الذى لم يكن فى أوزان الخليل المعروفة والذى نظم فيه الدهشان قصيدته ، وإن كان قد سبقه إليه بعض الشعراء من قبل ، ومنه قول الآخر :

املأ القـــدح واعص من نصح

ويقول من قصيدة بعنوان « الخلوة والحسناء »[2] :

وليلة بتنا على خـــلوة | تركنا الحياء إلى غيرنا
سمرنا وكم ساغ من قبلة | نسينا بها الخمر فى دننا
كأنى محب به غـــيرة | فلا يستقر هنا أو هنا
وأعبد تمثال تلك العيون | وكم عاشق عبد الأعينا
فمن لى بعزم على عزمتى | إذا فرق الدهر ما بيننا
فحبك وحدك حظ الحياة | وعن كل حسناء أنت الغنى

(١) يقال انكشحوا عن الماء ونحوه إذا ذهبوا وتفرقوا ، ويستخدمها العامة فى مصر بهذا المعنى تماما . (٢) ديوان الدهشان ج ٢ ص ٧٤ ، ٧٥ .

ويقول واصفاً حال محبوبته[1] :

إن شئت صبحاً وليلا بدا جبين وشعر

أو غاب كأس وخمر حسبى رضاب وثغر

ثم يقول مبيناً أثر عين المحبوب فيه :

سلامة الجفن شرط الغزاة إن شىء نصر

فما لغازى فؤادى يصمى وبالجفن كسر

وفى مثل هذا المعنى يقول من قصيدة « بين الجد والجيد » التى سمى بها كتاب مختارات شعره التى جمعها الشاعر عامر محمد بحيرى[2] :

رميت لم أدر ما تعنين فاعتذرى يا غادة قد رمت من غير تسديد

فى غمضة الطرف فيها ما يكون به صيد القلوب، تخلى الصيد أو صيدى

من قبل أن يبلغ التشبيب غايته فيهلك الصب بين الجد والجيد

ويقول من قصيدة بعنوان « أعودة »؟[3] :

يا قلب هل عدت تصبو بعد التقى والمتاب ؟

وردة المرء زيغ فى شرع أهل الكتاب !

ثم يقول :

إن كان حبًّا جديداً إيذن له بالذهاب

أو كان حبًّا قديماً نفيم كان الغياب ؟ !

وفى البيت الثانى من البيتين الأولين يتضح تأثره بالفقه والمسائل الفقهية .

(١) ديوان الدهشان ج ٢ ص ٨١ ، ٨٢ .   (٢) بين الجد والجيد ص ١١١ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٧ .

ومن قصيدة غزلية رشيقة الموسيقى رقيقة اللفظ مصرية الروح شعبية اللغة بعنوان « لعب » يقول الدهشان[1] :

قالت وتدرى أنها تدرى إذا لم أجب
ماذا بعينى قد ترى فقلت « عين الطلب »
فأغرقت فى ضحك من الهوى فى أدب
وطاب من أوقاتنا ليل كفتح العرب
قضناه حتى الشمس لا أهلا بهذا الكوكب
مدت يديها حين هم الصب للمنقلب
قلت عدى أن تبقى خادمكم قالت غبى
قلت اجهدى أن تحضرى قالت وهل يرضى أبى ؟
قلت ألا عذر فقالت لا أرى . . قلت اكذبى
قالت ولا هذا أرى يا صاحبى . . قلت اكتبى

ثم يقول بعد أن انصرفت عنه دون أن تنيله ما سأل :

ظننتنى ألهو بها إذا بها تلعب بى

ومما سبق من نماذج شعرية متنوعة فى أغراض الشعر المختلفة ـ يتضح أن خصائص هذا الشعر لدى الدهشان هى خصائص شعر مدرسة البعث البيانى المحافظة ومنها :

١ ـ إسباغ عاطفته وذاتيته فيما نظم من شعر المناسبات ، لأنه لم ينظمه عن رغبة فى التكسب به ـ كما عرفنا من تاريخه ، ومما ذكر فى بعض شعره ، بل شكرا على يد أسديت إليه ، أو إشادة بموقف استهواه ، أو حثا على عمل وطنى يتمناه .

(١) بين الجد والجيد ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

٢ ـ استخدام المصطلحات العلمية، نحوية وفقهية وعروضية وبلاغيه .. الخ

٣ ـ الرمز والإشارة إلى بعض القصص التاريخية القديمة كقصة يوسف عليه السلام . . .

٤ ـ استخدام المحسنات البديعة من جناس وطباق ومقابلة . . الخ .

٥ ـ استخدام الألوان البيانية من تشبيه واستعارة وكناية .

٦ ـ استخدام الألفاظ والأساليب العربية التقليدية الموروثة ، مع استخدام فى بعض الأحيان لبعض ألفاظ الحياة العامة الصحيحة لغة ، مثـــل « انكشح » « وعين الطاب » . . الخ . مما يضفى على الشعر رشاقة وواقعية .

٧ ـ استخدام أسلوب القص والحوار فى بعض شعره وخاصة فى الغزل ، مما يجعله قريباً من حديث الناس .

٨ ـ استخدام الأوزان الخليلية المعروفة فى شعــــره ، مع تلوين الموسيقى باستخدام القوافى المتعددة فى القصيدة الواحدة أحياناً ، ومع استخدام الأوزان الخفيفة والرشيقة ، وبخاصة فى الغزل ليزداد الغزل بها رقة وعذوبة .

ثانيا ـ شعر الدهشان الرومانسى

ونقصد به الشعر الذى ترجمه عن الفرنسية شعرا، وهو رومانسى الموضوع لأنه لشعراء الرومانسية الفرنسية؛ ولهذا تدخل الدهشان به فى جماعة أبوللو التى استهلمت فى شعرها هذه الموضوعات الرومانسية، وكما قلت لقد ترجم الدهشان أكثر هذا الشعر ونشره قبل حوالى عشر سنوات من قيام جماعة أبوللو، فكان ـ ولا شك ـ مائدة تغذى عليها شعراء أبوللو، وبذلك يكون الدهشان أبولليا من ناحيتين: من ناحية أنه أعد طعاما شهيا نما به شعراء أبوللو ونضجوا، ثم من ناحية أخرى أنه نظم هذه القصائد الفرنسية الرومانسية وهى تجرى فى الاتجاه الذى اتخذته جماعة أبوللو اتجاها لشعرها. وفى ترجمته لقصيدة لفيكتور هوجو بعنوان «بنت فرعون فى قصر منفيس» يقول الدهشان فى مطلعها :

فرعون ذو البأس كانت ... له فتاة ودود

فى قصر منفيس نادى ... تلك المهلة الشرود

على الرفيقات هيا ... للنيل ثم نعود

فالماء عذب نمير ... والوقت صبح سعيد

واللهو فى النيل يحلو ... والسبح فيه يفيد

ويقول فى ختامها :

يابنت فرعون تيهى ... فإن ذا اليوم عيد

والظبى يرتع حرا ... إن غاب عنه الأسود

ويقول الدهشان ترجمة لقصيدة لهوجو أيضا بعنوان « لا تهينوا امرأة »[2]:

لا تهينوا امرأة قد سقطت ... من ترى يدرى خطوبا نزلت

---

(١) الديوان ج ٢ ص ٨٣ وما بعدها . (٢) المصدر السابق ص ٨٤ وما بعدها .

رب خطب فوقها انحط وقد حاولت إلقاءه فانقلبت

ولا أكاد أرى قصيدة مترجمة أو غير مترجمة لشاعرنا الدهشان أصح وأوضح وأجمل وأكمل من قصيدته المترجمة عن الشاعر جان لاهور بعنوان « الحياة المقدسة Vie divine » ولهذا ننقلها كاملة كشاهد كامل على شعر الدهشان المترجم ونلاحظ أنه في سبيل التعبير الواضح السليم لم يلتزم بقافية موحدة، بل نوع قوافيه في ترجمة القصيدة ، يقول الدهشان[1] :

أعشق البحر حين يضطرب الموج فرجراجه كصدر الحبيب
كصدور الحسان يلثمها النور وقد عرضت لضوء الشموس
وارث للبحر حين تسمع منه زفرات الأسى وصوت النحيب
فيرد النسيم معتصم الجو عليلا به حيـــاة النفوس

يرقص البحر سطحه وهو يخفى في سويداء قلبه بركانا
كفؤاد في مهجة الليل يصلى نار وجد والليل رطب النسيم
حب واصنع كواكبا وسماء من فؤاد قد راح منك دخانا
وابعث النور والسلام إلى الناس فهذا شأن المحب الحكيم

حب وارغب عمن لحى وتعذب وارض ذل الهوى وهم وتلهب
إنما الحب بارك الله فيه كلما كان قاتلا كان أعذب
فاغتنم نشوة الشباب فإني ما رأيت الغرام لاق بأشيب
وافتح القلب للصبابة رحبا فلكم أدب الغرام وهذب

وارع في الخلق للشجون ورتل آية الحب تستخف القلوبا

---

(١) الديوان ج ٢ ص ٩٠ وما بعدها .

واشد فى الكون كالهزار وزحزح بالأغانى عن القلوب الهموما
وإذا هبت الرياح صباحا والصبا عانقت هناك الجنوبا
أطلق القلب كالقطاة إلى الروض إلى حيث يستطيب الجثوما
حب واعتز بالغرام ويمن إن للحب فى الورى سلطانا
إنما الحب لا يسود فيه غير من حال رقة وحنانا
إن رأى الكافرين بالحب ثاروا حول الكفر منهمو إيمانا
لا يهاب الردى ، ففى كل يوم قتلة حضرت له الأكفانا

والقصيدة كما ترى رومانسية تتفق مع اتجاه أبوللو اتفاقا تاما بما فيها من لجوء إلى الطبيعة والحب وبثهما آمال الشاعر وآلامه واستعذاب الألم والدعوة إلى الانطلاق والتحرر ، واقتناص الفرصة للهو دون خوف من هلاك ، وقد استطاع الدهشان أن يعبر بترجمتها تعبيرا رمانسيا شفافا يحسد عليه .

ومن ترجمات الدهشان الهامة ترجمته لليالى الفريد دى موسيه ، فهى ملحمة طويلة تبلغ أبياتها فى ترجمته العربية أكثر من ستمائة بيت ، وهى مقسمة إلى أربع ليال : ليلة مايو ، وليلة أغسطس ، وليلة أكتوبر ، وليلة ديسمبر ، ويجرى الحوار بين شخصيتين هما آلهة الشعر ، والشاعر . وبعد أن ينتهى بينهما الحوار ، تظهر فى نهاية الليلة الأخيرة شخصية ثالثة هى شخصية الطيف ، طيف الوحدة . وفى أول ليلة وهى ليلة مايو — يبدأ الحديث بين الشاعر وآلهة الشعر ، تقول آلهة الشعر :

أيها الشاعر خذ قيثارتك وأنلنى قبلة المستمتع
زهرة النسرين فجرا أصبحت تفتح الأكمام عند المطلع
والربيع ابن سناء واحد فيه هبت نسمات الموضع
رصدت فى الروض أطيار الربا فى انتظار الصبح لما تهجع

وثوت فى العشب حين اخضوضرت صفحة الروضة مثوى المولع

أيها الشاعر خذ قيثارتك وأنانى قبلة المستمتع

فيجيب الشاعر قائلا :

لقد أوحش الوادى بتلك الدجنة خفت مطاف الطيف فى ليل وحشتى

هناك له ظل بأرجاء غابة طفا الظل إذ يبتن من جوف خضرة

له قدم تجتث أعشاب روضة فيا الغريب الوهم يدعو لخيفتى

يلوح ويخفى بالذعرى ولهفتى !

ويمضى الحوار بين الشاعر وآلهة الشعر فى الليالى الأربع حتى تكون الليلة الأخيرة . . ليلة ديسمبر إذ يصيب الشاعر الأرق وهو فى غرفته، وإذا به يرى شبحاً لصبى حزين يلبس ثوباً أسود ، فيخاطبه الشاعر مسمياً إياه بالأخ وبطيف الشباب، وفى النهاية يرد عليه الطيف قائلا :

أخى مهلا ، أبوك أبى ولست ملاكك الحارس

أعيش ولا أرى صحبى ولست بحظك العابس

فلم أعرف لكم خطراً كأنى فى الدنى هاجس

ولست إلهاً او جانا فقد ناديتنى باسمى

متى شبهتنى بأخ ومعك أعيش من قدم

وأثوى ان أتاك الموت فوق القبر فى ندم

وقلبك لى من المولى فإن نزلت بك الشده

أغثك ، ففادنى إنى لعونك فى الأسى عده

ولا تلمس يداك يدى أخى إنى أنا « الوحده »!

وقد نشرت ترجمة ليالى الفريد دى موسيه فى العدد الثالث من أبوللو مع ترجمة قصيدة خلف الغمامة وقصيدة الفرفور والنحلة والوردة للشاعر الفرنسى أرنولت ، وقصيدة ما صنعت الآن فيها لمدام مارسلين ديسبور فالمور ، ومطلعها :

كان لى عندك قلب وأنا قلبك عندى
بدلا قلب بقلب عوضاً سعد بسعد

ومترجمات الدهشان كثيرة تؤلف وحدها ديواناً كبيراً ، وبعضها (١٧ قصيدة) نشر فى الجزء الثانى من ديوانه المنشور عام ١٩٢٤ ، وبعضها نشر بمجلة أبوللو ، وبعضها مخطوط بأيدى أحفاده .

وقد ترجم الدهشان شعراً : ديوان أنت وأنا لبول جيرالدى ، وعشرات من أغانى بيليتيس الإغريقية .

الفصل الخامس

مكانة الدهشان ، ومكانه بين شعراء عصره

سواء اتفقنا على أن الدهشان شاعر بعثى ينتمى فى شعره إلى تيار مدرسة البعث البيانى المحافظ ، أم شاعر أبوللى ينتسب شعره إلى تيار مدرسة أبوللو الرومانسى المجدد ، أم شاعر يجمع بين البعثية البيانية المحافظة ، وبين الأبوللية لرومانسية المجددة فإننا لا نختلف ، بل نتفق جميعاً على أن الدهشان شاعر وطنى مناضل ، أحب بلده وناضل فى سبيل تحررها وتقدمها بالكلمة الطيبة ، وشرع قلمه سلاحاً فى هذا الميدان الشريف منذ خط أول سطر ، ثم ظل يشرعه حتى نظم آخر شطر . ولم يتكسب - على فقره - بشعره ، لأنه كان غنى النفس ، ومن كان مثله غنى النفس يجوع ولا يأكل بشعره ، بل لقد أثر عنه أنه تبرع بمنزله لبناء مسجد سيدى الخواص بسمنود بلده ، فحيا الله الدهشان وأسكنه فسيح الجنان ، وجزاه عن شعره ووطنه خير ما يجزى به الشعراء الوطنيين المخلصين .

وبقى الدهشان مغموراً ، حتى بعد أن أخذ النقاد يكشفون عن ثرواتنا الفكرية والفنية والأدبية ممثلة فى العلما والفنانين والأدباء الذين كانوا مظهراً من مظاهر ثورة بلادنا السياسية الاستقلالية فى عصرنا الحديث حتى قيض الله للدهشان أحفاداً بررة من أسرته[١] وبقية صالحة ورفقاء كراماً من أبوا و القديمة لا يزالون على قيد الحياة - أمد الله فى أعمارهم - وعلى رأسهم الدكتور مختار الوكيل والدكتور محمد

---

(١) نحي بهذه المناسبة السيدين : إسماعيل الدهشان سمى الشاعر وحفيده ، وأخاه عبده الدهشان ، لوفائهما لذكرى جدهما ، وبذلهما أقصى الجهد للإعلان عنه والانتفاع به .

عبد المنعم خفاجى ، فأزالوا غبار النسيان عن ذكرى الدهشان وشرعوا يحيون ذكراه بما كتبوا فى الصحف ، وتحدثوا فى الإذاعة وعرضوا فى التلفزيون وبما أقاموا من مهرجانات أدبية وشعرية كان آخرها مهرجان سمنود بلد الشاعر فى ٦ فبراير سنة ١٩٨٥ الذى شارك التليفزيون بتسجيله، واشترك فى إحيائه كوكبة من الأدباء والشعراء القدامى والمحدثين ، البيانيين والأبولليين ، لأنهم جميعاً يدينون لمدرسة أبوللو بالفضل ويعترفون لشاعرنا الدهشان بالشاعرية والوطنية والوفاء لبلده الصغرى سمنود وبلده الكبرى مصر . ومن قبل هذا المهرجان الأخير كان المهرجان الأول الذى انعقد بمدينة سمنود كذلك فى ٦ من فبراير سنة ١٩٨٤ احتفالا بالذكرى المئوية لميلاد الدهشان والذكرى الرابعة والثلاثين لوفاته، وتناوب فرسان المهرجان الإشادة بالشاعر ودوره فى حركة الشعر .

وفى المهرجان الأول تحدث الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى عن الدهشان ودوره ومدرسته وقد سجلنا هذه الكلمة فى فصل سابق ، ثم أنشد قصيدة شعرية بالمناسبة منها :

وا صديقى ووا أخى الدهشان   أنت والخلد والمنى والبيان
أيها الشاعر الأبوللى جئنا   معنا الحب والهوى والأمان
معنا الذكريات خالدة والمجـــد والشعر والورى آذان
عشت حراً ومت حراً شجاعاً   شعرك الدر خالصاً والجمان
وليال موسية تذكر بالفخـــر بياناً قد صاغه فنان
كنت نجماً أضاء عصراً كبيراً   لكن العصر خلقه الكفران
لم يؤد الزمان حقك يوماً   طبعك الكفر باللغى يا زمان

وفى المهرجان الأخير الذى انعقد فى ذكرى الدهشان كثر الشعراء الذين اهتز بهم منبر الشعر فى سمنود إشادة بالدهشان ودوره فى النضال بالكلمة الحرة والشعر الجميل ، وفى علاقاته بإخوانه من شعراء أبوللو وشارك التليفزيون فى نقل هــذا الاحتفال العظيم المهيب

وقد بدأ المهرجان بقصيدة طويلة عصما للشاعر الأبوللى الدكتور مختار الوكيل وفيها يقول :

قسما أنت ماثل فى جنانى ... أنت حى على المدى فى بيانى
قد يموت الأنام لكن الشــاعر يبقى حياً على الأزمان
لا تقولوا قد مات من أرقص الأنغام فجراً على ذرى الأغصان
لا تقولوا قد مات من علم الشــادين رقص الحسان فى الأوزان
يا قصيدى يا ملهمى يا بيانى ... قل وأسهب فى الشاعر الدهشان
فهو حى على المــدى فى فؤادى ... وهو فى الشعر سابق الإخوان
يا سمنود أبشرى عاد إسمــاعيل يشدو بالشعر فى المهرجان
ويعيد الأمجاد فى بكرة العمر ... وينضو عنها غبار الزمان
يوم كنا كالطير نغدو خفافاً ... ونغنى على ضفاف الأمانى
وعلى شرفة من الغيل صحب ... أيقظوا النجم فى الدجى بالأغانى
عزفوا لحنهم وصاغوا الأمانى ... نغماً حالماً ندى الجنــان
سكر البلبــل المسائى منه ... فتغنى فى نشــوة الجذلان
والهــلال الوديع ناى رقيق ... يعزف الحب للدجى السهران
وأشاع الليــل المعطر لحناً ... رشفت من شذاه كل الحسان
ومضى النيــل حاملا زورق ... النــور إلى مقلة المحب العانى

والضياء الدفوق كأس دهاق أسكرتنا بروعة الألوان
وعلى الشاطئ البعيد فتى حر يصوغ الأشعار كالفتيان
شاعر لم يعش ليكنز مالا أو يباهى بالأصفر الرنان
بل بنظم القصيد عاش سعيداً هاتفاً كالهزار فى الأغصان

ثم ألقى العالم الجليل والشاعر الكبير الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى قصيدته التى جاء فيها :

ليلة فى حمى سمنود أكرم بسمنود والليالى الرضيه
نغم فى فم الخلود جميل ولحون بالسحر دهشانيه
هيه إسماعيل القوافى السنيه هيه سرى ياشمس ذى الأمسيه
شعرك السحر يا نجى المثانى وصفى الألحان والأغنيه
أى يم نصبت فيه شراعاً لم تروعه موجة جنيه ؟!
أنت أبدعت حين غنيت شعباً سار للمجد يعشق الحريه
من مساعيك كل خطوة خير والضمير الأبى والوطنيه
يعربى على الزمان هواه يعربى وروحه يعربيه
من أبوللو وأين مثل أبوللو بيننا فى مذاهب بابليه
يا رضى الأخلاق والنفس إنا قد نشأنا على الخلال الرضيه
إن شعراً نظمت فى حب مصر فهو السحر فى حمى الأبديه
وقضاياك فى القريض قضايا لم تكن يا دهشان بالمنسيه
شاعر الحب والجمال رويداً أين منى آفاقك السحريه
يا سمنود أنت أنجبت جيلا من جلال البيان والعبقريه
غرس يمناك كل فكر كبير ونضال للعزة القوميه

ثم ألقى الشاعر الرومانسى والكاتب الصحفى الكبير الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف قصيدته التى جاء فيها :

حين طاب اللقاء فى المهرجان   وتجلى إعجازه فى المعانى
فى سمنود كوكب علوى   باذخ الفكر والرؤى والجنان
عاش دنيا من الوقار وعصراً   من جلال المنى وسحر العيان
وتغنى بشعره وأغانيه   طوال الأيام كل لسان
شاعر عاش عصره فى أبوللو   ملهم الروح ساحر الأوزان
أيها الشاعر الذى ملأ الكون غناء كالبلبل النشوان
لك شعر على الزمان جديد   وهو فى السحر معرق كالزمان
كم جعلت البعيد من كل معنى   منك أدنى من راحة لبنان
صور الحسن فى قصيدك غنت   ساحرات الأنغام و الألحان
إن حزناً أشجاك أثمر شعراً   باذخاً من روائع الدهشان
يملأ الكون بالسلام وبالحب ويفتر باسماً بالحنان
أيها الشاعر الذى أتقن الرسم بليغاً فى دبوة وافتتان
لك فى الوصف كل فن فريد   من خيال ومن معان حسان
لكأنا بما وصفت لمسنا   همسات الضمير والوجدان
ورأينا جمر العواطف فى النفس وعذب الدموع فى الأجفان
أعذب الشعر ما يجود به القلب مبيناً عن ثورة الأحزان
أهو الشعر ما نظمت أم السحر ؟ وكنت السباق فى الميدان
عالم الروح كالمحيط غريب   يتلاقى فى لجه الضدان

وتدور الأفلاك تهتز نشوى بجلال الإبداع من سحبان
أنت من ترجم القصيد وغناها بسمع الزمان كل مكان
ما أجل الحياة فى روعة الفجر وعند الغروب فى الشطآن
أجد الله حيث يممت نوراً ليس يخفى حقاً على الإنسان
وأراه محبة فى ضميرى ونشيداً يشدو به المشرقان

ثم يشدو بشعره ويشيد بشعر الدهشان شاعر الشباب المبدع الأستاذ شوقى على هيكل وذلك فى قصيدته التى يقول فيها :

جدد اللحن يا أبا الألحان وابعث الوحى صادحا بالأغانى
إنما أنت باعث الوحى فينا بقصيد مخلد فى الزمان
وبذكرى تعطرت لك حبا من رياح الخلود بالريحان
هكذا كل شاعر عبقرى شعره فى الحياة ليس بفان
فتكلم ولا تقل كيف تحيا بعد موت . . فأنت حى البيان

أيها الشاعر الكريم سلاما لك تزجيه فى روابى الجنان
بين جد الحياة دون ملال رحت تشدو وبين جيد الحسان
قد خبرت الجمال خبرة فن فنظمت القصيد نظم الجمان
وله صغت جيدا وجديدا محكم النسج رائع الإتقان
صورة فيه للفؤاد تجلت فتبديت صادق الوجدان
كل بيت عليك منه دليل قاطع الحكم ناصع البرهان
قد حباك الإله كنز صفات هو فى الحق ثروة الفنان
من نبوغ ونطفة وذكاء ووفاء ورحمة وحنان

ولعله ـ بعد إشادة هؤلاء العلماء والشعراء والنقاد بمكانة الدهشان ومكانه بين

شعراء عصره ، على النحو الذى رأيناه ـ لا يكون لذلك زيادة لمستزيد ، فلنكتف بما قالوه ، ففيما قالوه فصل الخطاب .

ولقد أسعدنى الحظ بإنشاد قصيدتى الآتية فى ذلك المهرجان الكبير :

أنا الدهشان لا أنت   فما أعظم ما كنت !
جمعت محاسناً غرا   فصرت بها كما شئت
ومن عظمت مآثره   يفوز بمثل ما فزت
ولو قد مات تذكره   فلا فوت ولا موتا
ويبقى صيته أقوى   من النسيان . أو أعتى
ويصبح منه مصباح الـ   ـهداية مترعا زيتا
ويسحر عيننا نورا   ويسبى أذننا صوتا !

بما قدمت يا دهشا   ن كم أدهشت أو رعت !
وما أبدعت من شعر   وما دبجت أو صغت
فأطربت وأشجيت   وأسعدت وأمتعت
فكم عشت بمحراب   لفصحانا ، وكم طفت !
وكم معنى بعيد الغو   ر ، فى أغواره غصت !
وإن طارت خيالات   فحيث تطير كم طرت !
وكم من شارد الأفكا   ر يا دهشان قد صدت !
وكم أفق هنالك فى   سماء الفن قد جبت !

أبوللو كنت فيها الفا   رس الصنديد والثبتا
وإنك فى إدارتها   ملكت القطع والبتا
نشرت مطولات الترجما   ت بها وأبدعت

فيا لله ما أسمى ... وما أبدع ما شدت !
ويا لله ما أحــلى ... وما أروع ما قلت !

نعم ها أنتذا حى ... فقد غبت وما غبت
ومن يك مثل ماقد كنـ ... ـت ـ كان الحى لا الميتا
شققت إلى العلا وعرا ... فما خفت ولا هبت
وما زلت بإصرار ... وصـبر تلزم السمتا
وعند الشمس يا سرى ... رأيتك تبتنى بيتـا
ستبقى مصر أجمعها ... تعى ذكراك لا الدلتا
فلا تعجب إذا قلت : "أنا الدهشان لا أنت" !

وكأنى بالدهشان يحضر المهرجان ويستمع إلى كل هذه المدائح فيه فيهتز عجباً وطرباً ، ويأبى إلا أن يشارك بالشعر كما كان يشارك فى كل حفل ومهرجان ولـكنه لما لم يكن ثمة صحيفة وقلم وشعر جديد ، فقد اكتفى شاعرنا بما قاله عن شعره منشورا فى صدر مختاراته المسماة « بين الجد والجيد » . وتلك هى قصيدته بعنوان « شعرى » التى يقول الدهشان فيها(١) :

لى فى مجال الشعـــر شأو لا يطال إذا قرضته
وتمدنى الفصحى بدر اللفظ يبهـــر إن نظمته
إن عنّ لى فى الليل فت الليـــل طوعا والتزمته
تأتيه أبكار المعانى الخاطبات ، كما اشتهيته
لو قيل لى شعرى . . وكنت نسيت شعرى لادعيته
ما قلته فى غير منفعة القبيل ولا ابتذلته

---

(١) بين الجد والجيد ص ١١ وما بعدها .

ما سقته يوما على خلق لمخـــلوق رجوته

يتهافت الشعراء حول المـال لـكنى أبيته

فالشعر يزرى . . غير أنى حين صان العرض صنته

قد كان وقفا فى الشباب على الجمال وقد طويته

والآن إن أذن الإله بقوله لله . . قلته

أو فى مديح محمد لو هزنى للمدح بيته

روحى تطوف بروحه فإخال أنى قد صحبته

لم أرج إلا حجة إن نلتها ما رب زرته

وينتهى المهرجان الأخير كما انتهى المهرجان الأول بتوصيات تتكرر ولـكن هل مجيب؟! وهذه التوصيات هى :

إحياء وتخليد ذكرى الدهشان بما يلى :

١ ـ طبع آثاره الشعرية الـكاملة .

٢ ـ إقامة تمثال له فى سمنود .

٣ ـ إطلاق اسمه على إحدى المدارس الـكبرى فى محافظة الغربية .

٤ ـ إطلاق اسمه على مكتبة عامة تهدى إليها الـكتب من شتى الجهات والهيئات .

٥ ـ إطلاق اسمه على دار للثقافة بسمنود .

٦ ـ إطلاق اسمه على شارع كبير فى طنطا عاصمة المحافظة .

٧ ـ توفير الحياة الـكريمة لفقراء أسرته .

رحم الله الدهشان ، وأسكنه فسيح الجنان .

د . محمود السمان

أهم مراجع الكتاب

١ ـ أشرطة مسجلة عن مهرجان ذكرى الدهشان بسمنود عامى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥

٢ ـ بين الجد والجيد ، شعر إسماعيل سرى الدهشان ، اختيار وتقديم عامر محمد بحيرى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م

٣ ـ التجديد ومظاهره فى الشعر العربى الحديث فى مصر د . جودة عبد الله مصطفى رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية ـ مخطوطة

٤ ـ تطور الأدب الحديث فى مصر د . أحمد هيكل دار المعارف بمصر ط٣ ـ ١٩٧٨م

٥ ـ جماعة أبوللو وأثرها فى الشعر الحديث عبد العزيز الدسوقى ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م

٦ ـ حياة مطران . طاهر أحمد الطناحى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٦٥ م

٧ ـ ديوان الدهشان ـ الجزء الثانى ـ إسماعيل سرى الدهشان ، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر ١٩٢٤ م

٨ ـ الشعر المصرى بعد شوقى ـ الحلقة الثانية د . محمد مندور ـ دار نهضة مصر ١٩٦٩ م

٩ ـ فصول من الفكر المعاصر ـ ماجد محمد عبد المنعم خفاجى ـ دار الطباعة المحمدية ط ١ ـ ١٩٧٠ م

١٠ ـ قصة الأدب فى مصر ـ الجزء الخامس : د . محمد عبد المنعم خفاجى ـ المطبعة المنيرية بالأزهر ط ١ ـ ١٩٥٦ م

١١ ـ مجلة أبوللو من عام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ م

١٢ ـ مخطوطات الدهشان ، وتشمل مخطوطة عن تاريخ حياته ، ومخطوطاته عن روايته الشعرية من شعره هو ، أو من الشعر الفرنسى الذى ترجمه شعراً

الفهـــــــرس

تم بحمد الله